كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة الأولى

الدكتور علي حسين الوردي (١٩١٣- ١٩٩٥)

الباحث الثنائي

يهدف هذا الفصل إلى مراجعة آراء وأحكام وتعميمات لأحد رواد علم الاجتماع في العراق (الدكتور علي حسين الوردي) فيما يخص ظواهر ومشاكل اجتماعية عراقية درست قبل ربع قرن أو أكثر ، من أجل التحقق من مصداقيتها ودقتها في تشخيص واقع المجتمع أو اخفاقها من خلال فرضياته التي استعملها ، فضلا عن أن نقده لبعض سلبيات الحياة الاجتماعية العراقية يبدأ من العقد الثالث من هذا القرن وينتهي في نهاية العقد السادس ويعلم الجميع أن فرضيات الوردي شغلت المجتمع العراقي في منتصف هذا القرن وجعلته يدخل في مناقشات وتحليلات سوسيولوجية عنى بها النقاد والكتاب والمفكرون في ذلك الوقت ، وقد يعود ذلك إلى عمق الموضوعات والآراء والأحكام التي قدمها الوردي في بناء المجتمع العراقي أو في ميراثه الاجتماعي، والى طريقة تقديمها بأسلوب سلس بعيد عن تقنيات العلم المنهجية والتنظيرية ، والى جرأة الباحث في تناول موضوعات اجتماعية يتردد الآخرون في تناولها، أو يتعالى البعض عن الخوض فيها بدعوى ان الباحث العلمي يجب أن يتناول موضوعات تعنى بالمجتمع الانساني بشكل عام .

ألا أن الوردي غاص في أعماق المجتمع العراقي ودرس الظواهر العامة والخاصة، المتناقضة والمنسجمة، ورصد الأمراض الاجتماعية، وليس الرفاهية والسعادة الاجتماعية .

وسوف نراجع آراء الوردي واحكامه وتعميماته من وجهة نظر اجتماعية متخصصة من خلال عدم استخدام انية لا تمثل مدة دراسات الوردي، أو من نتائج أحداث اجتماعية ظهرت في أعقاب تغييرات اجتماعية وحضارية حصلت في المجتمع العراقي في العقدين السابع والثامن من هذا القرن، بل آنية تمثل زمانها ومكانها نطرح الآن الفرضيات ونناقشها منطقها وبينتها وهي

ما يأتي :

الفرضية الاولى :

صراع البداوة والحضارة

ومفادها أن الشعب العراقي واقع بين نظامين متناقضين من القيم الاجتماعية ، قيم البداوة الآتية اليه من الصحراء المجاورة ، وقيم الحضارة المنبعثة من تراثه الحضاري القديم ،

المتوقع في مثل هذه الحالة ان يعاني الشعب صراعا اجتماعيا ونفسيا على توالى الاجيال فهو من ناحية لا يستطيع أن يطمئن إلى قيمه الحضرية زمنا طويلا، لأن الصحراء تمده بين آونة واخرى بالموجات التي تفسد عليه طمأنينته الاجتماعية، وهو من الناحية الأخرى لا يستطيع أن يكون بدويا كابن الصحراء، لان الحضارة المنبعثة من وفرة مياهه وخصوبة أرضه تضطره إلى تغيير القيم البدوية ملائمة لظروفه الخاصة.

من الجائز أن يكون نصف الشعب العراقي شعبا حائرا فقد انفتح أمامه طريقان متعاكسان ،

وهو مضطرا ان يسير فيهما في آن واحد ، فهو يمشي في هذا الطريق حينا ثم ؛ الطريق الآخر حينا آخر.

في ضوء هذه الفرضية الاحتمالية نستخرج متغيراتها العلمية :

أ - الحضارة المنبعثة من تراث المجتمع العراقي الحضاري القديم تمثل متغيراً مستقلا (اي السبب)

ب -قيم البداوة تمثل متغيرا مستقلا ايضا

ج- المد والجزر بين قيم البداوة وقيم الحضارة (يمثل متغيرا معتمدا أي النتيجة) .

ان الحضارة المنبعثة من وفرة مياه العراق وخصوبته تلزم الشعب العراقي بتغيير القيم

البدوية الوافدة اليه لكي يجعلها ملائمة لظروفه الخاصة، وهذا يعني انه لا يوجد صراع

بل أن قيم البداوة الوافدة الى العراق تتكيف لطريقة العيش الحضرية لكي تكون ملائمة

لظروف القيم المدنية . ١٩٧٤ ومفادها ما يأتي « ان المجتمع العراقي عاش طيلة العهد المغولي والتركي في فترة (مظلمة) من الناحية الحضارية، حيث كانت الحكومة المركزية لا يهمها سوى جباية الضرائب ، فتركت الناس يفعلون بأنفسهم ما يشاءون حتى شاعت بينهم المعارك القبلية والغزو والنهب . وقطع الطريق والثأر ، واضطر السكان الى التمسك بالعصبية والقيم البدوية يحافظوا على ارواحهم واموالهم ، ولم يقتصر هذا الامر على العشائر فقط بل شمل أهل المدن كذلك ، إذ صاروا يحملون السلاح للدفاع عن انفسهم تجاه العشائر المجاورة ، وظهر بينهم رؤساء محليون على شاكلة شيوخ العشائر ، وبذا أصبح القانون معطلا في ضبط الأمن وحل محله العرف العشائري المستمد من القيم البدوية وظل العراق يعيش على هذا الوضع حتى منتصف القرن التاسع عشر ، واذ ذاك بدأ تيار حضاري جديد تمثل في نمو السلطة الحكومية ، ولكن هذا التيار كان يسير ببطء شديد وقد اخذت السلطة الحكومية تنمو بعد الحرب بشكل تصاعدي إلى درجة لا مجال لمقارنتها بما كانت عليه قبل الحرب وقد ساعدتها على ذلك وسائل السيطرة الحديثة كالطائرات والمصفحات والمدافع المحمولة مما جعل السكان غير قادرين على مجابهة الحكومة او محاربتها على نحو ما كانوا يفعلون سابقا ، فكان ذلك إيذانا بدخول المجتمع العراقي في هذه المرحلة الانتقالية التي نعيش الآن فيها والتي تتميز بشدة الصراع بين قيم البداوة التي ورثناها من آبائنا وقيم الحضارة التي جاءتنا مع التيار الحديث

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة الثانية متغيرات الفرضية الأولى :

متغيرات الفرضية الأولى :

أ- ضعف الحكومة المركزية (متغير مستقل.)

ب- عدم أهمية القانون في ضبط الامن (متغير مستقل.)

ج- قيم حضارية جاءتنا مع التيار الحديث ، متمثلة واستخدامها وسائل سيطرة حديثة (متغير مستقل)

د-تمسك المجتمع العراقي بالقيم البدوية والتعصب لها (معتمد أي النتيجة).

هـ- صراع قيم البداوة مع قيم الحضارة الحضارة (متغير معتمد) .

الملاحظ على هذه الفرضية اختلاف نصها عن نص الفرضية نفسها التي قدمها عام ١٩٦٥والاختلاف جوهري وليس ثانوي الاسباب منها ما يلي :

في عام ١٩٦٥ عد " الوردي الصراع الاجتماعي بين القيم البدوية والحضرية نتيجة لسببين او متغيرين (قيم تراثية نابعة من المجتمع العراقي . وقيم بدوية وافدة اليه من الصحراء المجاورة) ولم يتطرق إلى أثر السلطة الحكومية في تسبب الصراع بل سماه بالمد والجزر بين القيم البدوية والحضارية ، لكنه انطلق من مدة حكم المغول والاتراك والسلطة الحكومية قبل الحرب العالمية الاولى بوصفه متغيرا جديدا في التعصب القبلي فضلا عن ذلك ، فانه يؤكد أن القيم البدوية الوافدة سوف تجبرها قيم المجتمع العراقي الذي يعيش في منطقة مدينة حضرية على تغيرها لتكون ملائمة لظروفه الخاصة ، وعليه لا يحصل صراع بل ولا يحصل مد وجزر بين النمطين في شخصية الفرد والمجتمع العراقي بل يحصل امتصاص او تمثيل القيم المدنية ـ الحضرية للقيم البدوية .

أما نص الفرضية ، فانه لم يحدد بدقة القيم الحضارية ، فهل هي قيم الحضارة المنبعثة من تراث المجتمع العراقي ، أو انها القيم الحضارية الوافدة الينا مع التيار الحديث المتمثلة في نمو السلطة واستخدام وسائل السيطرة الحديثة ؟ المتغير هنا اختلف ولا يمكن لأي فرضية علمية أن تتضمن متغيرين مستقلين متناقضين في آن واحد فقد حصل اختلاف في المتغيرات.

ففي: النص الأول للفرضية عد " المجتمع العراقي حاملا قيما حضارية متأصلة وان البدو الوافدين من الصحراء المجاورة يؤثرون في قيم المجتمع العراقي وهذا يعني أن القيم البدوية وافدة وان القيم الحضارية متأصلة في الضمير.

بينما عد " في النص الثاني من الفرضية نفسها العكس الاجتماعي العراقي الاطار المرجعي الذي يتماثل معها ، عد " القيم البدوية هي الأصل وهي الاطار المرجعي الذي يتماثل معها الفرد العراقي عندما يواجه سلطة اجنبية وافدة ومستغلة له اجتماعيا واقتصاديا . وهذا تناقض في نص الفرضية الواحدة يفتقر الى دقة متغيراتها وبالتالي أصبح هدف نص الفرضية الوصول إلى تعميم اجتماعي حول الصراع الاجتماعي عبر الاجيال وهذا التعميم المطلق لا يؤخذ به في الدراسة السوسيولوجية العلمية لأنه لا توجد حقيقة مطلقة بل فضلا عما تقدم ، فان النص الاول للفرضية لم يذكر مصطلح الصراع بل ذكر مصطلح المد والجزر بين قيم البداوة (الوافدة من الصحراء المجاورة) وبين (قيم الحضارة المتأصلة في تراث المجتمع العراقي) ولم يذكر النص ايضا التعصب القبلي (لأنه وافد من مجتمع خارجي) ولم يسمه بالتلاقح التفاعل الاجتماعي بل المد والجزر الذي عدم التفاعل والتلاقح بين نمطي القيم ، ولكن نهاية النص تفتقر الى فكرة المد والجزر حيث أكدت تغير القيم البدوية الوافدة لكي تكون منسجمة ومتلائمة مع ظروف حياة المدينة وقيمها الحضرية وعليه لا يحصل صراع ،أقول ان عنوان الفرضية لا يمثل أو ينطبق على النص الذي أورده الاستاذ الوردي.

في حين يذكر النص الثاني (في عام ١٩٧٤) الصراع الاجتماعي ، الا انه لم يوضح ماذا يعني " الصراع في هذه الفرضية والذي يعني احتدام او تنازع مصالح مجتمعين او جماعتين او نمطين من القيم من أجل البقاء الوجود "، والذي ينتهي بالبقاء للأصلح او للأقوى .

بيد أن النص الافتراضي لم يوضح ذلك بل أوضح العلاقة المتناحرة بين قيم البداوة وقيم الحضارة الى صلة ، بسبب ضعف السلطة الحكومية او بسبب قوتها . ولم تصل براهين الفرضية إلى اثبات من هو الأصح او الأقوى بل افترض علاقة متنافرة على توالي الاجيال وبالتالي يصل المجتمع العراقي الى مرحلة الحيرة .

وهذه مرحلة لم يمر بها أي مجتمع إنساني لاسيما أن لكل مجتمع فكراً اجتماعياً وظروفا شرطية واهدافا اجتماعية تحدد مسيرته في الحياة الاجتماعية.

ان سياق البحث يلزمني الا أغفل بهذا الصدد ذكر لو أخذنا بالنص الأول للفرضية لكانت النتيجة ان نهاية المد والجزر تكون ببقاء نمط الحضارية لأنه متأصل في تراث المجتمع العراقي ، وأن نمط القيم البدوية الوافدة من الصحراء المجاورة زائل لضعفها امام نمط الحضارة ولع أصالتها في مجتمع مديني ـ حضري ولو اخذنا بالنص الثاني ، لكانت نهاية العلاقة التنافرية (التي اسماها النص بالصراع الاجتماعي) ما يأتي :

أ - ان المجتمع البدوي يتعصب عندما يواجه تحديا سلطويا من قبل سلطة حكومية قوية ، والعكس صحيح.

ب- ان القيم البدوية تتقلص تدريجيا اذا استقرت الدولة تستغني عن العصبية . (هذا

الافتراض قاله ابن خلدون مقدمته في الفصل الأول من الكتاب الأول).

ج – ان الرئاسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم (مقدمة ابن خلدون الفصل

الثاني عشر من الكتاب الأول).

هذه الافتراضات تكون سليمة ، فيما اذا كان المجتمع بدويا – الأول للفرضية أكد ان المجتمع العراقي القديم كان حضريا ويمتلك قيما حضرية ، وان القيم البدوية وافدة عليه من الخارج.

في الواقع ان مفهوم صراع البداوة مع الحضارة اقتبسه الوردي من ابن خلدون واطلقه على العلاقة المتنافرة بين قيم البداوة والقيم المدنية هذا الاقتباس لم يكن مطابقا لمضمونه ، لأن الأول (الصراع عند ابن خلدون) كان يعكس هجوم البدو على الحضر وتأسيس الدولة والصراع يحصل فيما بعد . أقول بين ما يجلبه الحكام (البدو) من قيم وبين قيم المدينة الحضرية حيث قال « قد تشمل البدو أحيانا صبغة دينية من نبوة او ولاية او غيرها فتجمع شملهم وتجعلهم يهاجمون الحضارة ويؤسسون فيها الدولة) .

وما قدمه الوردي تحت مفهوم الصراع هو تعصب : كلما ضعف تطبيق القانون من قبل سلطة حكومية أجنبية أو كلما كانت السلطة المركزية قوية في سلطانها . وهذا يعني ان الصراع بين البد و وقيم المدينة الحضرية غير موجود وانا متنافر ، فضلا عن ذلك فأن هذا المضمون لا يشبه مضمون الصراع الذي جاء به ابن خلدون فيما يخص الصراع وأخيرا هناك تنبيه أورده الوردي يلفت نظر الاجتماعيين المحدثين إليه

وهو ((نحن لا نتوقع من علمـاء الاجتماع المحدثين على اي حال ان يسهموا في بحـث البـداوة علـى منـوال مـا فـعـل ابـن خلدون، فالرجل عاش في مجتمع تغلغلت البداوة فيه واثـرت فـي تكوينـه تـأثيرا بالغا بينمـا هم عاشوا في مجتمع ليس للبداوة فيه مثل هذا التأثير، الا اننـا وجـدنـا الـوردي قـد أسهب في تفسير السلوك

فسير السلوك الاجتماعي (العراقي أو العربي) مـن خـلال فرضيته الاولى (صـراع البـداوة والحضارة) لدرجة انه وضع خارطة البداوة الاجتماعية – لا الجغرافية في الوطن العربي وألغى جميع المؤثرات الاجتماعية الحضرية في تفسير السلوك والظواهر والمشكلات الاجتماعية.

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة الثالثة : الفرضية الثانية :

ازدواجية الشخصية

((تعني أن يسلك الإنسان سلوكا متناقضا دون ان يشعر بهذا التناقض في سلوكه او يعترف به ، وهو ينشأ من وقوع الانسان تحت تأثير نظامين متناقضين من القيم او المفاهيم فهو يتأثر بأحد النظامين تارة وبالأخر تارة اخرى .

اما متغيرات الفرضية المستقلة (السبب) فهي :

١- النزعة الجدلية : التي ورثها عبر تاريخ جعله مثاليا في تفكيره اكثر مما ينبغي ، ميالا للاطلاع والقراءة ، و الافق من الناحية الذهنية ، ولكن من الناحية الأخرى تجعله مشتت الاهواء والآراء لا يستقر على مبدأ واحد مدة طويلة .

ومن عيوب هذه النزعة انها تعلم الفرد أن يطلب من غيره اعمالا لا يستطيع هو ان يحققها في نفسه ، أي انه يطالب بالحقوق اكثر مما يقوم بالواجبات وبالتالي يصبح هذا النوع من الافراد اكثر انتقادا لغيرهم ولأعمالهم من انفسهم وتصرفاتهم .

ب – التنشئة الاسرية : « ان التربية الاجتماعية في المدن العراقية تعلم الفرد أن يكون (سبعا) تجاه البشر و (مخنثا) تجاه القدر ، اي ان يكون ميالا الى التحدي والمغالبة ، في الوقت الذي يكون فيه ميالا الى التألم والخنوع ، ويضيف الوردي الى ما تقدم فيقول « لا يكاد الطفل في المدن العراقية يفتح عينيه للحياة حتى يجد نفسه قد خرج الى الازقة ليلهو ويلعب مع اترابه من اطفال الجيران والمحلة ، وهناك ينمو الجانب

الواقعي في شخصيته ، وهذ عميق الجذور في تكوين شخصيته ، فاذا كبر الطفل أخذ الجانب الآخر ينمو فيه وهو الجانب المثالي المستمد

من المواعظ الدينية والمجادلات المنطقية ،

ج – تناقض القيم الاجتماعية ، المتضمنة العصبية والنخب الجيرة مع مبدأ الحرية الفردية والمساواة بين المواطنين . اختبر الوردي متغيرات الفرضية المستقلة (الأسباب) فوجدها مفقودة عند البدو وموجودة بشكل بسيط عند الريفي ، لكنها موجودة . بشكل واضح عند المديني وخاصة عند الشرائح الاجتماعية الآتية :

١ – المتزمتين في التعاليم الدينية.

٢- المتعلمين والمثقفين.

٣- البيروقراطيين (رجال الإدارة) .

٤ – السياسيين.

الملاحظ على متغيرات الفرضية انها شاملة . أقول تغطي افراد المجتمع .. العراقي كافة , فالنزعة الجدلية والتنشئة الاسرية والكوارث والأوبئة والتناقض بين القيم والمبادئ يخضع لها جميع العراقيين في البادية والريف والمدن (حسب منطق الفرضية) ولكن عندما حاول الوردي اختبارهما اوجدها عند بعض الشرائح الاجتماعية المدنية وليس الريفية او البدوية ، وذلك راجع الى خضوع ابناء هذه الشرائح في عملهم الى مؤثرات مؤسسية رسمية ذات تعليمات عقلانية قائمة على الانجاز والتخصص مثل (المدرسة والكلية والجامعة والنقابة والحزب السياسي) او يخضع لتعليمات وعظية ومنطقية صادرة من إرشادات دينية.

فمبدأ الحرية الفردية والمساواة بين المواطنين لا يتعلمها الفرد إلا في مؤسسات رسمية ، لذا لم يجد الوردي الازدواجية عند البدوي ووجد القليل منها عند الريفي وهذا يعني ان المتغيرات الثلاثة الأولى ليس لها تأثير في بلورة الازدواجية لان الوردي وضع هذه المتغيرات المستقلة كأسباب للازدواجية عند العراقيين كافة ، ولكن عند البرهنة وجدها تنحصر في الشرائح المتعلمة والمثقفة والسياسية والدينية وهذا يعني أن الازدواجية تبلور فقط عند الافراد الذين يتعلمون في مؤسسات رسمية لأنها تخضع لنظام تقسيم عمل قائم على التخصص و الانجاز والكفاءة والمهارة ، لكي تخدم اهدافها التنظيمية وتتعارض مع : أهداف

المؤسسات الاجتماعية غير الرسمية (أسرة أو عشيرة أو قبيلة او جماعة محلية أو الجيرة) وهذا شيء طبيعي في كل المجتمعات التي تنمو وتتطور وحتى في شريحة المثقفين وجد الوردي « ان البعض منهم :

انصهروا في الثقافة الحديثة انصهارا جعل ظاهرهم وباطنهم متقاربين ، ويبدو ان هؤلاء كانوا في طفولتهم غير منسجمين في الحياة الزقاقية إو شعروا بالنفرة منها لسبب من الاسباب وانهمكموا في دروسهم او هواياتهم الانطوائية ، ولهذا كانوا في سيرهم اقدر من غيرهم على التكيف للثقافة الحديثة ، اما الذين كانوا في طفولتهم من اطفال المحلة وقادة المعارك فمن الصعب عليهم ان يتخلصوا في كبرهم من تأثير القيم الزقاقية فظلوا ((اشقياء)) كما كانوا ، غير انهم ينشرون شقاوتهم بطلاء براق من المصطلحات الحديثة . وبذا فان صدق هذه الفرضية في المجتمع العراقي كافة بحضره وريفه وباديته وهذا ما توصلت اليه دراسة الوردي.

وفي ضوء ذلك نقترح الفرضية الاتية ((غالبا ما تتعارض مصالح الفرد الذاتية مع مصالح واهداف المؤسسة الرسمية في المجتمع التقليدي)).

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة الرابعة : "الفرضية الثالثة : التناشز الاجتماعي"

يقول الوردي « من طبيعة التغيير السريع انه لا يؤثر في جميع اجزاء الكيان الاجتماعي بدرجة واحدة ، فكثيرا ما يكون هناك جزآن مترابطان ثم يحدث التغيير في احدهما دون أن يحدث في الآخر ، أو قد يحدث في احدهما اسرع مما يحدث في الآخر فيؤدي ذلك الى صراع او توتر او تناقض بينهما ، وقد قدم الوردي عدة اوجه للتناشز الاجتماعي هي ما يأتي :

أ - يطالب الفرد بحقوقه التي على الحكومة لكن لا يلتزم بحقوق الحكومة عليه (المتغير المستقل لهذا الوجه هو مفهوم الحكومة).

ب ـ ازدياد عدد المدارس بحيث عجزت الدولة عن استيعاب خريجيها . (المتغير المستقل في هذا الوجه هو عدد المدارس) .

ج- تأثر الشباب العراقي بوسائل الأعلام فيما يخص اختيار الحياة فيميل الى الاختيار المبني على العلاقة الوجدانية المسبقة ، الا انه بالتالي يحقق شروط النمط التقليدي الذي يتناقض مع ميله . (المتغير المستقل هنا هو وسائل الاعلام) .

د- عدم مجاراة رجال الدين للتغير الفكري الذي حدث في العصر المتغير المستقل هنا الافكار الحديثة والمبادئ الجديدة) الملاحظ على هذه الفرضية انها لم تعمم ابعادها على شرائح المجتمع العراقي كافة ، بل التزمت بالشرط الموضوعي .

ولا مناص من القول بان هذه الفرضية انطلقت من تنافر الادوار الرسمية مع غير الرسمية . أقول عدم انسجام ادوار الافراد الذين يعملون في التنظيمات الرسمية ، مثل دوائر الدولة والمدارس والجامعات ووسائل الإعلام مع ادوارهم خارج هذه التنظيمات .

أي في التنظيمات غير الرسمية مثل الاسرة والزمر الصداقية وابناء الجيرة وابناء العشيرة او القبيلة ، التي تربطه معهم روابط قربى او محلية أو اقليمية ، وهذا التنافر الدوري قد يولد صراعا بين النوعين من

الادوار وهي حالة موجودة في كل المجتمعات الانسانية الحديثة وذلك انسجام حقوق وواجبات كل من الدورين بسبب خضوعها لأهداف وغايات تنظيمية متباينة.

أي ان متطلبات الاسرة قد لا تنسجم مع متطلبات النقابة المهنية او الشركة أو الجامعة فيحدث ما اسماه الوردي بالمتناشز الاجتماعي.

انتهينا الآن من عرض ومناقشة فرضيات الوردي وصدقها في المجتمع العراقي ، ننتقل الى ذكر منهجيته في دراسته لهذه الفرضيات التي تلخص نظرته للمجتمع العراقي في مرحلة تاريخية محددة أمدها ربع قرن.

ففي فرضيته الاولى اقتبس مطلقها من ابن خلدون ، والثانية اخذ جوهرها من ماكيفي والثالثة على نتيجة النظرية وليم أوكبرن .

مما لا شك فيه أن لكل باحث اجتماعي منهجاً ولكل منهج تقنيات او للمعلومات وأسس تعليلها ، وتقنيات منهج الوردي هي :

١- الملاحظة المباشرة.

٢-اقوال شهود عيان للحدث الاجتماعي.

٣-الأقوال المأثورة والحكم الاجتماعية السائدة في المجتمع العراقي بوصفها وسيلة من

وسائل الضبط الاجتماعي

٤-بعض الآيات القرآنية واحاديث الرسول (ص) واقوال الائمة بوصفها من وسائل

الضبط الاجتماعي ،

٥-اقوال ابن خلدون.

٦-المنطق الوضعي.

٧- أداة المقارنة الثنائية.

الإطار النظري :

وخليق بنا ان نوضح الاطار النظري الذي استند اليه في الدعم النظري للأحداث والظواهر الاجتماعية العراقية ، وهذا التزام منهجي متبع في الدراسات العلمية وهو ما يأتي :

١ -نظرية الطبقة الفارغة لثور شتاين فيلن الذي يقول (ان افراد الطبقة العليا او الطبقة الاستحواذية تجاهد كثيرا في سبيل ابتكار الفوارق الاصطناعية التي تميزها عن الطبقة الكادحة ومن اهم الفوارق في نظره هي اللغة ، فالاستحواذيون يحاولون ان يظهروا امام الناس بأنهم من اصحاب الفراغ ولذا تراهم يصرفون وقتا طويلا في تعلم قواعد النحو العويصة، فاذا تكلموا التزموا بها وبذا يشعر الاخرون بالنقص ازائهم)

استخدم الوردي هذا النص النظري لتفسير ظاهرة اجتماعية كانت سائدة في المجتمع العراقي في منتصف هذا القرن حيث قال ((ان نظرية فيلن يصح انطباقها اليوم على المتعلمين وانصاف المتعلمين في العراق فهم يعيدون الآن حجة الاجداد على وجه من الوجوه ، فلا يكاد احدهم يتكلم حتى تراه قد ملا كلامه بالكلمة الغامضة والمصطلحات الغريبة ولعله يفسر ذلك ضعفه من الناحية العلمية وربما جاز القول انه كلما قلت معلومات الشخص وضحلت ثقافته اتجه الى المصطلحات الغامضة يتكلم بها في كل مجال ويقذف بها في كل مكان، انه يندفع في هذا السبيل اندفاعا لا شعوريا اذ يحاول ان يسد بذلك عقدة كامن' في اغوار نفسه تحفزه دوما نحو التميز والاستعلاء على غير اناس .

فلا بأس أن تتحاور مع هذين النصين ، أن المنظر الامريكي (النرويجي الاصل – ثورشتاين فيلن ١٨٥٨-١٩٢٩) استخدم بعض الظواهر الاقتصادية في تفسير الظواهر الاجتماعية بنيويا، فقد استخدم مفهوم الاستهلاك الظاهري المترف الذي يمارسه ابناء الطبقة الفارغة (الغنية) التي تسرف في استهلاك السلع والبضائع والملابس والأثاث المنزلية والمأكولات والمشروبات لكي تعرض درجة ثرائها وغناها بهذا المجتمع ، فالاستهلاك الظاهري عند أبناء الطبقة الغنية ما هو الا وسيلة لتحقيق غاية ، وهي إبراز ثرائهم

وغناهم ، فالمتعلمون وانصاف المتعلمين في العراق في الخمسينات لم يشكلوا طبقة اجتماعية مترفة بل شريحة اجتماعيـة متنورة ، ومن البديهي انها تستعمل المصطلحات التي تقرأها في الصحف والمجلات وتتداولها فيما بينهـا ولم تستنبط من طبقة اجتماعية لكي تعكس مستواها الاقتصادي بل تعكس مستواها التعليمي والثقافي ، فلا تواري عقدة كامنة في اغوار انفسهم تحفزهم دوما نحو التميز والاستعلاء على قيم الناس .

اضف الى ذلك فان آبائهم واجدادهم لم يشعروا بالنقص كما لم تكن لديهم عقدة كامنة بل كانت لديهم ثقافة نابعة من بيئتهم المحلية . وقد يجـوز القـول انـه كلما زادت معلومات الشخص وكثرت ثقافته اتجه الى استعمال المصطلحات كصورة من صور تفاعله الافكار التي يقرأها او يحملها ولا تكون غامضة عند الآخرين لأنه يتعامل مع الشريحة الثقافيـة نفسها التي ينتمي اليها المتعلمون ، فلم يكونوا استحواذيين كأبناء الطبقة الفارغة (الغنية) وهذا يعني ان تحليـل الوردي لهذه الظاهرة غير متجانس او غير متطابق مع منطق وتحليـل فـبلن في الطبقة الفارغة التي استخدمهـا كإطار في دراسته.

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة السادسة الفجوة بين الحاكم والمحكوم

ثالثا : الفجوة بين الحاكم والمحكوم : ارجع الوردي هذه الفجوة الى :

١ -تطور عقلية الناس.

٢ -تقدم التعليم المدرسي.

٣ -وسائل الأعلام والمطابع

أوضح الوردي ذلك من خلال مقارنته للمجتمع العراقي بين مدتين زمنيتين مختلفتين هما المدة العثمانية والمدة الوطنية ، حيث قال « كانت الحكومة العثمانية تسمى بـ (الرجل أنما المريض) وكانت عقول الناس مريضة مثلها ، إذ كانوا يتحملون جور الحكام وهم مؤمنون هو بأن ذلك مكتوب عليهم في لوح القدر وقد اعتقد كثير منهم بان الظلم الواقع عليهم من سوء اخلاقهم وقلة عبادتهم وتقواهم . كان الناس بعبارة أخرى الا يفرقون بين المصيبة التي تأتيهم من الحكومة والتي تأتيهم من الطبيعة فلم يكن هناك وكلاهما فرق مثلا بين التجنيد الاجباري والطاعون الذي يحصد أرواحهم حصدا ، في نظرهم من نوع واحد ، وهم لا يجدون ازاءه سوى الصبر والدعاء الى الله ان يرفع المحنة عن هذه الامة .

لكن بعد مجيء الحكومة الوطنية فان عقول الناس قد تغيرت اسرع مما تغيرت به لطبيعة الحكام . فاصبح المواطن لا يكتفي بانتقاد الحكومة على اعمالها الخاصة بل يرى كذلك ان لها يدا في الكوارث الطبيعية . ان المطابع والمدارس ومحطات الاذاعة اخذت تمطر العقول بأفكار لم يكن لا بائنا بها من عهد .

اما في عهد الحكم الملكي فقد قال الوردي « ان الحكومة تفرض التجنيد الإجباري على رعيتها ثم لا تسمح لهم بالانتخاب المباشر فهي تريد ان تدرب الفرد العراقي أن يكون جنديا رغم أنفه ولا تريد ان تدربه على ان يكون مواطنا صالحا وعضوا فاعلا في بناء اجهزة ومما لاشك فيه ان الانتخاب المباشر هو من اهم

العوامل التي تساعد على تقليص الدولة ، الثغرة بين الشعب والحكومة . والواقع ان الضمير لم يتوحد في اية امة من امم هذا العصر الا بعد أن أحس الشعب احساسا لا التباس فيه بأنه ينتخب رجال حكومته بنفسه انتخابا ، فالشعب حين يعتاد رؤية ممثليه ينطقون باسمه ويحاولون ارضاءه ، ويدافعون عنه يشعر بأنه عضو فعال في جهاز الدولة وانه يؤلف من الحكومة صنفا واحدا لا ثغرة فيه ، ولا ريب ان شر ما تحلم به امة من الامم ان يكون لها ضميران ، ضمير لحكامها وضمير لأفراد شعبها ، فهذا الانشقاق في الضمير الاجتماعي يجعل الحكام يظلمون الشعب من حيث يظنون انهم يعدلون ويجعل الشعب متمردا من حيث يظن انه طائعا والعراق ابتلى من هذه الناحية بمصيبة اجتماعية لا حد لها مع الاسف الشديد ».

يأتي الآن تناول حالات اجتماعية مرضية تشير إلى المؤثرات البيئة التي تقوم بها بعض السنن الاجتماعية على حركة التقدم الاجتماعي. أقول معوقات التغير الاجتماعي ، تناولها الوردي في دراساته .

لا مناص من القول بانه لا يوجد مجتمع بدون حالات اجتماعية مرضية ، فلكل مرحلة تاريخية حالاتها المرضية الخاصة بها ، الا انها ليست بحالات مستعصية لكنها مسببة لاضطرابات اجتماعية لا تصل إلى درجة عدم توازن المجتمع في نظمه وقوانينه لكن علاجها لا يتم من خلال تركها على وضعها بل من خلال تشخيص مسبباتها وتطويقها بمضاداتها الاجتماعية من اجل عدم توسعها او انتشارها في جسم المجتمع . فمثلا الاستهلاك الظاهري في المجتمع يؤدي إلى اضطراب في ميزانية الاسرة او دخلها ، فضلا عن انه يمثل احد أوجه التبذير في اقتصاديات المجتمع ، وان وظيفته الاجتماعية اعطاء اهمية للزائر وتبيان مكانة العائلة الاقتصادية والاجتماعية . لكن هذه الوظيفة الاجتماعية اقل اهمية في بناء المجتمع عند مقارنتها مع الاستهلاك العقلاني الرشيد الذي يخدم مستقبل الاسرة ورفاهيتها الاجتماعية والاقتصادية .

انتقد الوردي ظاهرة الاستهلاك الظاهري لأبناء المدن وسماها " بـ (عقدة الطبيخ) حيث قال : ((ان أهل المدن يعانون من عقدة نفسية بشان الطعام ، وهذه العقدة قد تستعمل في بعض الفقراء الذين يحاولون ان يرفعوا مكانتهم الاجتماعية وأن يقلدوا الاغنياء في ضخامة قدورهم وكثرة البذخ على طعامهم .. وان من المفاخر التي يتباهى بها الكثير من أهل المدن هي ضخامة القدور التي يطبخ بها طعامهم ووفرة السمن الذي يوضع فيه والرجل عادة يخجل أن يشتري من السوق مقادير قليلة من المواد الغذائية لبيته فاذا فعل ذلك اعتبره أهل السوق بخيلا واخذوا يتقولون عليه ويذمونه . انهم يعذرون الفقير اذا فعل ولكنهم لا يعذرون الغني او الذي هو من الطبقة الوسطى فمن مقتضيات الوجاهة ان يطبخ الرجل في بيته اكثر مما تحتاج اليه عائلته وهذه عادة قديمة نشأت لدى الناس من جراء توقعهم مجيء ضيف اليهم على حين غرة . والملاحظ

في الازقة كثرة ما يراق من بقايا الطبيخ عند ابواب البيوت وربما تعمد بعضهم يلفت الانظار الى وفرة الطعام في بيته » .

هذا ولابد لي بعد هذا الاستطراد أن أشير الى حالة اجتماعية مرضية أخرى وهي حالة الوساطة التي تربك النظام الاداري المبني على الانجاز والقدرة العقلية والخبرة الذي يمثل احد اوجه التقدم الاجتماعي لأي مجتمع مديني ـ حضري . أقول تسلط العلاقات القرابية او الاقليمية المحلية على مواقع السلم الاداري في تنظيم مؤسسات المجتمع الرسمية ، يمثل أحد معوقات التقدم الاجتماعي .

يقول الوردي بهذا الخصوص « يقصد بالوساطة ان يلجأ الانسان الى الوسيط من أولي النفوذ في سبيل تمشية ذلك لكي أموره في دوائر الدولة ، فالفرد حين يلجا الى الوسيط انما يجري مقتضيات القيم المحلية القديمة ، فهو يناشد الوسيط بحق القرابة او الجيرة او ما اشبه ، حالة اجتماعية مرضية أخرى هي الرسمية التي يمارسها المتعلمون وبعض المثقفين من أجل التقرب من اولي الامر فيؤدي الى التكالب المادي السريع الذي بدوره يؤدي الى التخلل الخلقي وبناء مؤسسات رسمية غير قادرة على تحقيق أي – تبلور ملموس داخل المجتمع ، بل خاوية في بنائها وفاشلة في تحقيق خدمة المجتمع وهذه الحالة تعرقل مسيرة المجتمع نحو الأمام .

في هذا الصدد يقول الوردي (نحن نلقن تلاميذنا معلومات (علاجية) لا صلة لها بحقائق الحياة ومشاكلها واننا نعلم تلاميذنا على الحماس في سبيل الحق والعدل والفضيلة ، التلميذ يتخرج اذن وهو متحمس حماسة مبهمة تكاد تنطبق على اي وجه »

حالة اجتماعية مرضية أخرى هي الحسد والوسواس اللذان يؤشران . الجهل والافتقار الى الوعي الاجتماعي والنظرة الضيقة للحياة وللناس . فكلما زادت ثقافة الناس ومعرفتهم الفكرية والعلمية زاد وعيهم الاجتماعي ، والعكس صحيح .

لذا فهي حالة مرضية تعيق تقدم المجتمع ، ذكر الوردي في هذا الخصوص « ان الحضارة الشرقية قد عودت ابناءها على عكس ما يقول به القرآن فقد احس كل واحد منهم يخاف من التحدث بالنعمة وانت لا تكاد تتحدث إلى امرأة عن ولدها فتقول « انه سليم معافى » او انه ذكي نشيط حتى تجدها قد استعاذت بالله من قولك »

والغريب ان حضارتنا حين تجعلنا نتخيل الفشل وتعودنا على ان تهمل النجاح الذي يأتينا عفوا من غير مشقة » أما فيما يخص الوسواس – او عقد الاستكمال Perfectionimm فقد قال فيها (انها ارادة متحجرة لأن كل انسان يريد احيانا ان يستكمل العمل الذي يبدأ به ، ولكن هذه الارادة قد تتحجر فتمسي عقدة نفسية . ان هذه العقدة تعد من أكبر عوامل الفشل في الحياة ، فصاحبها لا يستطيع ان يقوم بعمل الا بصعوبة ، ذلك أنه كل جزء مما يعمل وتراه يهمل الاعتناء بالأصل في سبيل الاعتناء بالفروع نظر او هو ينسى الغاية ويهتم بالوسيلة) . وهناك حالة لفت الوردي النظر اليها ضرورة الاخذ بنظر لظروف المجرم الاجتماعية عند تشريع القانون الجنائي لأنها حالة مدنية – حضارية تدل على الدوافع الانسانية الاصلاحية وليست القمعية الردعية المطلقة ، وان إهمال ذلك عند التشريع يعني الأخذ بالسياسة العقابية وليس الاصلاحية . يقول هنا « ان القانون الذي يشرعه المشرعون يؤدي الى الظلم اذا طبق حرفيا وهذا قول لا يظل من وجهة نظر صحيحة ذلك لان القانون ثابت مطلق بينما وقائع الحياة متغيرة ، وفي بلادنا هناك مثل هؤلاء الناس الذين يلتزمون بتطبيق القانون حرفيا ، فهم يفكرون بمنطق اصحاب العبيد فهم يسوسون الناس كما لو كان هؤلاء الات صماء لا عاطفة لها ولا شخصية وكثيرا ما يحكمون على فقير بانه مجرم اذا الخطأ مرة بدافع من ظروفه القاسية ثم يحتقرونه من بعد ذلك ويقيمون في سبيله العراقيل اينما توجه »

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة السابعة : تكملة محاضرة الفجوة بين الحاكم والمحكوم

يتضح مما تقدم أن نقد الوردي لظواهر ومشاكل اجتماعية عراقية كانت سائدة في المجتمع العراقي في النصف الاول من هذا القرن كان منطلقا من الكشف عن حالات مرضية وتشخيص علاجها وهذه هي أولى مهام الباحث الاجتماعي وقد كانت معظمها تمثل موضوعات حساسة جدا لا يتجرأ أي كاتب او ناقد ان يتناولها وينقدها الا اذا كان يحتل مكانة فكرية أو علمية متميزة في المجتمع بسبب امتلاكه الافكار النيرة وله القدرة على الرؤية من خارج المجتمع إلى امراضه ومشكلاته الاجتماعية لان طرح ظواهر ملتصقة بحياة الناس اليومية لمجتمع تقليدي تمتد جذوره الى ماض سحيق ولم تطرأ عليه تغيرات اجتماعية او اقتصادية عديدة وعميقة ، ويتم طرحها بشكل جماهيري من خلال الصحف والمجلات اليومية ، يحتاج الى جرأة قوية لتحمل تبعياتها السلبية التي قد تصل إلى النبذ الاجتماعي او الاتهامات الخطيرة بسبب

التغيرات السياسية والاقتصادية التي حصلت في العراق ، لكن الشيء الواضح في نقد الوردي ان تشخيصه للعلل الاجتماعية كان يتسم بالنظرة الشاملة ، فعند تشخيصه للعلاقة المرضية بين الشيخ والفلاح والغني والفقير والحاكم والمحكوم ، يأخذ شرائح اجتماعية ممتدة بشكل واسع في المجتمع العراقي ونظرته النقدية لبعض المعتقدات وطرائق العيش والسنن الاجتماعية كانت ثاقبة وغائرة في أعماق تراث المجتمع العراقي ، فكان اسلوبه السوسيولوجي يتصف بالشمول . أقول لم يتناول الموضوعات أو المشاكل او الظواهر الاجتماعية التي تحدث بين فردين او جماعة صغيرة الحجم او مشكلة اجتماعية طارئة على المجتمع العراقي بل الملتصقة بالحياة الاجتماعية العامة اي الخاصة بتاريخ وتراث الحدث لا بالحدث نفسه ، بالمصلحة الاجتماعية وليس الذاتية ، فجاء منهجه منهجا موضوعيا من دون تحيز فئوي او فردي لأنه لم

يجامل الحدث الاجتماعي او الموقع الاقتصادي او السياسي المتميز داخليا ولم يبالغ في تسجيل الظاهرة او المشكلة بل شخصها كما المجتمع العراقي وابتعد كل البعد عن الغيبيات والمواعظ والخيال السوسيولوجي.

اللافت للنظر اسلوب الوردي انه ابتعد أيضا عن استعمال المصطلحات الغريبة والغربية او الرنانة الفارغة ، بل استعمل مصطلحات محلية للدلالة على الطرق عيش المجتمع العراقي وتحليلها في بيئتها المحلية مثل « عقدة الطبيخ » و « ابن اجاويد » وما شابه .

لكنني كنت اتمنى لو أن الاستاذ الوردي اختبر النظريات الاجتماعية الغربية التي استعملها في اطاره النظري ، فضلا عن دعمه لها ، لأنه بدعمه هذا قام بعمل برهاني لنصوص نظريات غربية بدلا من اختبارها في بيئة غير بيئتها لكي يتوصل الى قضايا أو نماذج نظرية تعكس البيئة العراقية.

ان سياق الدراسة يلزمني الى أن اشير إلى موضوع لا يقل أهمية عن عنوان الدراسة وهو ان علم الاجتماع في المغرب العربي دخل عن طريق الاستعمار . أي الي المجتمع العربي درس من قبل باحثين اجتماعيين فرنسيين لأغراض سياسية استعمارية وليس لخدمة المجتمع العربي او لتشخيص مشاكله او علاجها « ان السيسيولوجيا في بدايتها في المغرب كانت مؤسسة ادارية وسياسية في خدمة الحماية الفرنسية .

فالعلاقة بين السياسة (الاستعمارية) والسيسيولوجيا علاقة جدلية تحدد خطوط البحث السوسيولوجي . ، بينما عرف العراقيون علم الاجتماع والدراسات الاجتماعية عن مجتمعهم بأسلوب ومنهج علمي وبعقلية عراقية لم تخدم سوى مجتمعها ، هدفها تسليط الضوء على الواقع الاجتماعي وخدمة المتعلمين والمثقفين ومحاربة الجهل والتخلف والجمود الاجتماعي ، وكان ذلك من خلال مؤلفات ودراسات ومقالات ومحاضرات الوردي - انه جيد وطني و علمي يستحق الافتخار به .

اما اسباب تسميته (الباحث الثنائي) ، فقد وجدناه يكرر في طروحاته الاجتماعية – العراقية مفاهيم اجتماعية ثنائية مترادفة ذات مضامين متعاكسة مثل البدو والحضر والشيخ والفلاح ، والغني والفقير ، والحاكم والمحكوم ، ان هذا الاسلوب المقارن بين مفردتين مختلفتين في العنوان والمضمون كان .. وما يزال سائد الاستعمال عند الاجتماعيين الغربيين امثال ريد فيلد (المجتمع التقليدي والمجتمع الحضري) وتوليس (المجتمع العام والمجتمع المحلي) وبيكر (المجتمع الديني والمجتمع الدنيوي) والي جنوي (المجتمع المشافي والمجتمع الرفقي) وسبنسر (المجتمع الصناعي والمجتمع العسكري) ودوركهايم (التضامن الميكانيكي والتضامن العضوي) وكولي (الجماعة الاولية والجماعة الثانوية) وغيرها .

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة الثامنة :

الدكتور عبد الجليل الطاهر (١٩١٧ – ١٩٧١) الباحث النقلي

الرائد الثاني في علم الاجتماع في العراق هو الدكتور عبد الجليل الطاهر أحد ابناء مدينة القرنة – البصرة ، اسهم بشكل فعال في تدريس علم الاجتماع في كلية الآداب (جامعه بغداد) بعد منتصف هذا القرن وقدم العديد من الدراسات والمؤلفات والتراجم التي أسهمت في اثراء الفكر الاجتماعي والمعرفة الاجتماعية ، وعكس المرحلة الأولى من مراحل تبلور هذا العلم في العراق .

كانت بداية عطاءاته العلمية تمثل في دراسة الوحدات الاجتماعية الكبيرة كدراسة المجتمع البدوي والريفي والمديني ، لكن قبل نهاية حياته انتقل الى تقديم دراسات وحدات صغيرة المدى ، كدراسة الشخصية العراقية ومشروع المعيشي ، ، ففي مجال دراساته عن المجتمع العراقي فقد استطعنا ان نبوبها ونصنفها كما يأتي :

١ -المجتمع البدوي في العراق .
٢ -طرق تنمية الريف العراقي .
٣ -المجتمع للديني في العراقي .
٤ - الشخصية العراقية .

١ -المجتمع البدوي : اوضح الطاهر المجتمع البدوي في العراق من خلال وصفه للنظام العشائري الذي كان سائدا فيه حيث كان وما يزال قائما على الروابط الدموية التي تكون النسيج العلائقي القرابي بين افراد القبيل الواحد الذي بدوره حدد الحقوق والواجبات الاجتماعية الملقاة على مفردات النظام العشائري كله اجل تنظيم حياتهم الاجتماعية اليومية ضمن ضابط عشائري الذي يكون بمثابة آلية اجتماعية تساعد البدوي على تكييفه للبيئة البدوية بما فيها الالزام والامناع ، حيث تلزمه بقوة ان يلتزم بضمير القبيلة واخلاقيتها وفي الوقت ذاته تمنعه من ممارسة المحرمات التي تقع الحضور عليها (كالتزاوج من قبائل معينة أو تعزله اجتماعيا او جغرافيا عن بعض الفئات الاجتماعية في قبائل معينة)

هذه الآلية البدوية والعصبية ، تحدد هوية أو طابع القبائل البدوية المتضمن وحدة الدم ووحدة الاصل - النسبة - ووحدة العلائق الاجتماعية ونظام الأسرة الأبوي (اي النسب الأبوي والسيطرة الابوية)) .

لكن هذا النظام العشائري لم يبق محافظا على سيادته في المجتمع البدوي بسبب السيطرة الاجنبية التي تسلطت على المجتمع العراقي . فعندما احتل المغول العراق - في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي - اصاب المجتمع العراقي الحروب والكوارث الدامية وفقدان الأمن والاستقرار ودمرت الجداول والنواظم وهدمت الديار ، تحت هذا الاعتلال الاجتماعي اصبح النظام العشائري المنشط الوطني الوحيد للمناشط السياسية والامنية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع العراقي يحمي مصالحه وأمواله وعرضه ،)

الامر الذي زاد من رباط الفرد العراقي بعشيرته ونظامه وبسط ولائه واخلاصه لها ، لأنها اصبحت القلعة الوطنية التي يحتمى بها من ظلم وجور الاجنبي م وعندما حكم العثمانيون العراق ابان المدة الواقعة بين ١٥٣٤-١٧٤٩م انتبهوا إلى سلطان النظام العشائري في المجتمع العراقي وقوة اليته التنظيمية و العصبية القبلية ، في تضامن أفراد العشيرة ، زرعوا الخصومات . بين العشائر من أجل تفرقتها وتثليم قواها وسلطانها وقد نجح العثمانيون بهذا العمل التجزيئي الذي أدى إلى تهديم الركائز الاجتماعية فظهرت كل عشيرة وكأنها امارة مستقلة تمتع بنفوذ سياسي وجغرافي واجتماعي خاص بها مثل امارة المنفك والخزاعل وزبيد وطى وشمر (الطاهي ، أي في هذه الحقبة التاريخية لم يبق النظام العشائري نسقا موحدا للعشائر كافة إمام التسلط الاجنبي بل اصبح نسقا مجزئا تدخل الاجنبي في شؤونه فقسمه إلى انساق فرعية يستقل الواحد عن الآخر من أجل تسهيل السيطرة عليه ، لكن النظام العشائري لم ينس وجود النفوذ الاجنبي رغم تثليمه الى انساق فرعية ، بل زادت ثوراته بشكل حاد ابان حكم المماليك في المدة الواقعة بين ١٧٤٩ – ١٨٣١ م مما دفع المماليك إلى الانشغال بإخماد الثورات التي قام بها اتحاد عشائر المنتفك والخزاعل في الفرات الاوسط يتضح من ذلك ان الآلية البدوية « العصبية القبلية ، منغرسة في ضمير الفرد البدوي بشكل متجذر ومرتبطة بالنسق القبلي ، على الرغم من تثليمه من النظام العشائري ، تظهر فاعليتها و ديناميتها في التضامن الداخلي عندما تواجه تسلط اجنبي يحاول السيطره واستغلالها لصالحه) .

فاعليتها وديناميتها في التضامن الداخلي عندما تواجه تسلط اجنبي يحاول السيطرة عليها هذه الحقيقة الاجتماعية استغلتها السياسة الاستعمارية البريطانية بشكل يختلف عما

ولم تزرع استغلها حكم المماليك حيث لم تعمل (السياسة البريطانية) الى اخماد الثورات العشائرية الخلافات بين العشائر » بل عمدت نهجا جديدا وهو تعزيز وتقوية نظام (المشيخة) بعد ان دخلت بغداد

عام ١٩١٨ ومنحت الشيوخ نفوذا وسلطانا قويا من أجل السيطرة على : افراد القبائل والعشائر بوساطة تقريبهم ومنحهم الاراضي والمكائن والمالة والنفوذ ـ المحدود ـ وبذا تسهل على السياسة البريطانية السيطرة على المجتمع البدوي في العراق والمحافظة على المصالح البريطانية وحماية مؤخرة الجيش البريطاني

وبهذه الطريقة استمال الانكليز الشيوخ لجانبهم مستخدمين سياسة الاغراء والتلويح بالأراضي والمكائن والتهديد بانتزاع الاراضي من المعارضين ، فظهر الشيوخ على المسرح السياسي حاملين معهم انساقهم الفرعية المتنازعة وولاءهم المصلحي للنظام الملكي .. اما الانساق الفرعية المعارضة للتسلط الاجنبي فقد انتزعت منها الاراضي وحرمت منها املاكها والتمثيل في الجالس العشائرية .

وحصيلة القول ، ان النظام العشائري تحول بسبب السيطرة الاجنبية ال أنساق فرعية متخاصمة ومتنازعة بعد ما كانت متكافلة ومتضامنة ، ثم تحول كل نسق إلى مواقع سلطوية مستغلة الأليـة البدوية و العصبية القبلية الأداء السيطرة على النسق المرعي القبلي والاثراء على حساب قوى افراده ، وبالوقت ذاته تسخير هذه المواقع السلطوية القبلية من قبل الحكم الملكي من أجل السيطرة على افراد قبائلهم . هذا من جانب ومن جانب آخر فقد حدد الطاهر حدود المجتمع البدوي في المناطق الآتية :

- عشيرة الشفير : تقطن الجنوبي العربي من العراق
- عشيرة عنزة : تقطن سهوب الشامية
- عشيرة شمر : تقطن أراضي الجزيرة العليا

أما المستوى الحضاري لهذه العشائر فيخضع لدرجة توطنها وتطور الزراعة فيها واستخدامها لوسائل الري وزراعة المحاصيل مثل التبغ والقمح والخضراوات وأشجار الفاكهة والنخيل والارز .

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة التاسعة : الشخصية العراقية في رأي الطاهر

٤ - الشخصية العراقية في رأي الطاهر :

لم تكن للدكتور الظاهر دراسة مستقلة عن الشخصية العراقية ، بل أن كل ما كتبه من آراء وتقييمات كانت عبارة عن رد فعل متأخر لكتابات الاجتماعي المعروف الدكتور علي الورد في هذا الخصوص حيث ظهر رد فعله عام ١٩٦٥ و ١٨٧١ بينما ظهرت كتابات الوردي

حول الشخصية العراقية في منتصف الخمسينات وهذا يعني ان هذا الموضوع لم يكن من اهتماماته الفكرية او البحثية الأساسية ولأنه لم يمتلك المعلومات الكافية لسبر غور مثل هذا الموضوع الحيوي لذلك أوقع نفسه بالمطب نفسه الذي حاول ان يستخدمه لنقد الوردي فلم يقدم للباحث الاجتماعي العراقي او العربي أساسا يضيفه في بناء هذه الدراسة .

واجد من المفيد الالماح لكتابات الوردي في هذا المقام الكي يعرف القارئ ما جاءت به ويرى الوردي ان الشخصية العراقية تخضع لمؤثرات صراع البداوة والحضارة معا في سماتها الثقافية الامر الذي خلق فيها تناشزا اجتماعيا ممثلا بتناقض – القيم العرقية ـ العصبية (خاصة بالقرابة والجيزة والنخوة والديانة وحق الزاد والملح) مع المبادئ الحضارية (مثل مبادئ ، المساواة والعدالة والديمقراطية والحرية والوطنية) الذي بدوره جعل الشخصية العراقية مزدوجة في سلوكها بشكل متناقض دون ان تشعر او تعرف به بحيث تتأثر بنظامين متناقضين من القيم والمبادئ ، فهي تتأثر بأحد النظامين تارة و بالأخرى تارة اخرى » . اما الظاهر فقد وصف الشخصية العراقية بانها متقوقعة وقلقة في آن معا " وقد وضع ثلاثة مظاهر لها هي : -

١- ان الانتماء القوقعي المتحجر إلى الاسرة أو المحلة أو القبيلة او الطبقة او الطائفة وغيرها الانتماءات الجزئية المقطعية تجر وجدان العراقي جرا غير متناسق الى بؤر ولائية مليئة بالمياه الأسنة من الأحقاد تختلف في عفويتها وعمقها تؤدي الى تصدع البناء النفسي للشخصية والبناء الاجتماعي للمجتمع » :

نبدي استغرابنا من هذا الحكم اللا موضوعي لأن من أساسيات انتماء الفرد للمجتمع ان يكون منتميا لأسرة انجبته بايولوجيا وتعيش في منطقة معلومة الابعاد - جغرافيا وتنتمي الى مجموعة أسر تمثل العشيرة أو القبيلة وغيرها من الانتماءات الجزئية القطعية التي تربطه بالمجتمع الكبير ، والفرد العراقي لكي يحصل على مواطنته العراقية يجب أن يكون من أب وام عراقيين بالولادة ويعيشون على ارض عراقية ومن الطبيعي ان يكون لهذه الاسرة ارتباطاتها وانتماءاتها العشائرية والطبقية والدينية وهذه احدى اساسيات الطبيعة البشرية وتماثله معها وتعلقه بها أمر طبيعي جدا ولا يمثل انتماء قوقعيا متحجرا بل ارتباطا طبيعيا بالأسرة والمجتمع المحلي والعام وهذا هو أحد اسباب خلو المجتمع العراقي من البؤر الولائية المليئة بالمياه الآسنة من الاحقاد . لو افترضنا جدلا بانه فعلا ان الوجدان العراقي مجرورا جرأ لمثل هذه البؤر فهل يعقل ان يبقى هذا الوجدان قائما لحد الآن دون انهيارات بنائية ؟

١- ان لشخصية الفرد العراقي مظهرا تاريخيا وحضاريا يرمز ويعبر من نموذج المجتمع في

من مرحلة الى اخرى مرحلة تاريخية وحضارية معينة – أي ان مركز الثقل ن الشخصية تختلف في اهتماماتها من مرحله الى اخرى .

١ -أن لشخصية الفرد العراقي مستويات ، واطارات مختلفة من العلاقات .

من هذه المظاهر الثلاثة تتألف لدينا صورة مترابطة الاجزاء من الشخصية والمجتمع ولعل أول ما يسترعي اهتماما في الشخصية العراقية مظهران اساسيان هما :

١ – القوقعية و ٢- القلق ، أن المظهر الثاني والثالث لا يؤديان الى القوقعة أو القلق لانهما يوضحان تفاعل الشخصية بشكل مستمر مع الحدث التاريخي والحضارة وانها ليست بجامدة او متقوقعة لأن مركز ثقلها يختلف في اهتماماتها من م مرحلة تاريخية وحضارية الى اخرى- كما ذكر في المظهر الثاني – وفي الوقت ذاته لها مستويات واطارات مختلفة في العلاقات والارتباطات –المظهر الثالث- فالشخصية السوية هي التي تحقق استمرارية التفاعل مع المؤثرات التاريخية والحضارية المحيطة بها والافراد الذين تعيش في وسطهم فكيف اذن يكون هذان المظهران قلقا وتقوقعا في الشخصية؟ فضلا عن ذلك فأن المظهر الاول للشخصية العراقية يتعارض كليا في منطقه وفكره مع منطق وفكر المظهرين اللحقين ، فالتناقض يكمن في تحديد الباحث لمظاهر الشخصية وليس في الشخصية العراقية .

اما اسباب القلق في الشخصية العراقية فيرجعها الطاهر الى الاسباب الاتية :

١- صراع انتماءات العراقي المتعددة كالأسرة والمحلية والقبلية والطبقية والطائفية حيث يشعر الفرد في العراق الذي ينتمي إلى هذه الولاءات القوقعية ـ بالطمأنينة وبالولاء العميق داخل إطار تلك القوقعة بينما يتبادل العلاقات السطحية المؤقتة الطارئة خارج ذلك الإطار. لم نجد أي توضيح لوجه واحد من أوجه الصراع في هذا السبب فانتماءات العراقي وقبيلته وطائفته) وعلاقته البينية رأي بين أفراد المجتمع العام التي تتسم بالسطحية والمؤقتة) وهذا شيء لطبيعي في كل المجتمعات الانسانية . ان هذا السبب لا يؤدي الى الصراع ولا يؤدي الى القلق - ابدا ـ بل الى الاستواء وتنمية الروح الجماعية الحميمة التي تؤدي الى التضامن الاجتماعي وليس الى الصراع الاجتماعي

٢- نقل الولاءات القوقعية القديمة الى الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية . لقد أظهر تاريخ الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية صحة هذه الفرضية لأن العراقيين يتوزعون في انتماءاتهم توزيعا . يتأثر بالرواسب القوقعية العالقة في وجدانهم بل انهم نقلوا الولاءات القوقعية القديمة الى الحركات وتوزعوا بينها بمقدار ما تتصل تلك الحركات .

ببناء القواقع الولائية القديمة. السؤال الذي يتبادر الى الذهن هو هل يصح للمنتمي الى حركة سياسية بدافع الانتماء الاسري او المحلي او القبلي او الطبقي أن يكون قلقاً ؟ لاسيما ان الانتماء الاسري والسياسي يولد الاستواء الشخصي والوعي السياسي والنضج الاجتماعي . ان هذا السبب يفتقر إلى دليل منطقي وواقعي لأن الحركات السياسية – كل العالم ـ لها أهداف وغايات تعبر عن المصلحة العامة ، ولكل فرد أهداف وغايات تعبر عن مصلحته ، وقسم منها تتقارب مع ا اهداف حركة معين والقسم الآخر يبتعد عنها ومن الجائز جدا أن يكون داخل الاسرة الواحدة و المحلة الواحدة او العشيرة الواحدة او الطبقة الواحدة عدة انتماءات سياسية وقد وجدنا ذلك في مجتمعنا بشكل واضح ، فكيف تستطيع ظاهرة الولاء او قوقعة الولاء يكاملها نقل افرادها كافة الى حركة سياسية واحدة ١ اين الاسناد التاريخي لهذه النقلة الولائية القوقعية ؟ فضلا عن ذلك ـ ألم يكن للفرد العراقي وعي من مناسب وثقافة عامة وخاصة تحدد انتماءه السياسي ؟ وهل تقبل الحركة السياسية أن تعبر عن مجموعة افراد ينتمون إلى أسرة واحدة او نحلة واحدة أو عشيرة واحدة ؟

٣- عدم ثبات معلم الولاءات في وجدان الشخصية العراقية : ((يؤلف العراقي في وجدانه تأليفا متناقضا ومتحركا سلما من الولاءات التي تتغير على درجات السلم في حركة دائبة من الصعود والهبوط فهو مرة يضع الأسرة أو القبيلة أو المحلة أو المدينة ومرة أخرى يضع الطائفة او الطبقة فوق كل اعتبار ويرتبط

بكل ولاء دور معين يقوم به الفرد العراقي فتتحد خطوط حياة الفرد العراقي اليومية بحدود تلك القواقع الولائية فيها يولد ويترعرع ويكبر وفي اطارها يتزوج ويربي أطفاله وفيها يموت ويحفر قبره ، لو أخذنا بهذا السبب فانه لا يؤدي الى – القلق ولا يعبر عنه لأنه يشير إلى الحركة الدائبة في الاتصال والتفاعل المستمر مع شرائح المجتمع كافة وغير متقوقع في انتماء اجتماعي واحد وان . وجدانه متكامل مع الانتماءات الاجتماعية كافة وليس متناقضا لانه انتمى اليها يحكم قراره ، وارتبط بها عضويا واجتماعيا وهذا لا يؤدي الى تناقض في ارتباطاته ولا تغرس التناقض في وجدانه لعدم تناقضها بل انسجامها ..

٤- الانعزال الاجتماعي : « تعزل القواقع أبناء المجتمع الواحد عزلا افقيا وراسيا لأنها بذرت في وجدانها فيهم بذورا من التحيزات والتعصبات التي هشمت المجتمع الى اجزاء متهاوية قشريا وسطحيا ومتناقضة في الاعماق وكثيرا ما يحدث أن يقفز الفرد من مستوى قوقعي الى مستوى .

اخر حتى صار من الصعب حقا معرفة نقاط الانتماء والتشابك ونقاط الانطلاق .. وكان حصيلة ذلك الواقع الموضوعي القلق أن تعايشت في وجدان الشخصية العراقية مستويات مختلفة من الحرمان والتذمر والقلق تؤثر في توجيه السلوك واتخاذ المواقف .

اللافت للنظر هذا السبب فقدان الصورة المنطقية ـ الواقعية المنسجمة فيه ، فهل يعقل أن يكون المعزول اجتماعيا والمتعصب لانتمائه الاجتماعي الذي يتناقض مع انتماءات اجتماعية اخرى ان يقفز من انتماء الى آخر بحيث يصعب معرفة نقاط انتمائه ؟ أين الاستاد الواقعي ؟ واين وجدة الصورة ؟ انه ان مثل هذا التشخيص السببي غير وارد في الدراسات الاجتماعية الكلاسيكية او المعاصرة لعدم دقته وتناقضه وصعوبة تصديقه لابتعاده عن الواقعية الاجتماعية ولفقدان الادوات المنهجية المستخدمة في الدراسة .

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة العاشرة : تكملة محاضرة الشخصية العراقية في رأي الطاهر

في عام ١٩٧١ تراجع الدكتور الطاهر عن تحديد أسباب القلق في الشخصية العراقية لا لنضج ملاحظاته أو اكتشافه لأسباب جديدة او ظهرت له بأن دراسته السابقة تحتاج الى اعادة نظر بل لرد فعل سلبي تجاه دراسة الدكتور الوردي في موضوع الشخصية العراقية ، وسنعرض جميعا التناقضات المستمرة في الرؤية والتحليل والاندفاع الشخصي حيث قال و الحقيقة أن قلق الشخصية العراقية ناتج عن التناقضات المستمرة القائمة بين الادوار المتعددة التي تقوم بها في البيت والمزرعة والمصنع والمدرسة والنادي والنقابة والمقهى والوظيفة ومجالس الانس والمسامرة ، وغيرها بحيث يصعب احيانا التوفيق بين كل تلك الأدوار لأن كل دور يرمز الى مستوى معين في اعمال الشخصية العراقية ولكن هذا القلق ليس مرضا وانما ينبوع . لتحفيز العراقي على الحركة والديناميكية والإبداع . انها شخصية قلقة محللة تحلل الاشياء والموضوعات وتعيد تركيبها وبناءها من جديد حتى لو كانت منحصرة بين البداوة والحضارة ومتمسكة بهما لما استطاعت ان تبدع في اللغة والادب والنحو والفقه والتكلام والفلسفة والقانون . ان الصراعات والتناقضات التي تزخر بها الشخصية العراقية متعددة وكثيرة منها التناقضات بين الطبقات الاجتماعية وبين الاستعمار والقومية بين الانظمة الاقطاعية والاشتراكية ، بين المدينة والريف ، بين المنتجين والمستهلكين بين الجيل القديم والجيل الصاعد ، بين العناصر والديانات والعشائر وبين اللون الابيض والشعوب الملونة بين الطوائف وبين الاجناس بين الرجل والمرأة . عل ينكن ان تختزل كل هذه التناقضات الى مجرد تناقض واحد بين (البداوة والحضارة) انه جزء من المنهج المثالي القديم انه العصور الوسطى ، انه منهج انهزامي يلفت عنقه الى الماضي البعيد علـه يجد فيه ملجأ ومهربا في دراسة الواقع . لنفترض ان تحليل الاستاذ الطاهر هذا اقرب الى الصواب ولا علاقة له برد الفعل السلبية تجاه الوردي ، فهل يعقل أن تتحمل وتستوعب الشخصية العراقية هذا الكم الكبير من الصراعات ؟ واذا كان واقعيا فان اسمرار

وجـوده ضـرب من ضـروب الاستحالة لنأخذ مثـالا بسيطا منطلقا من الصـراعات التـي أوردهـا الدكتـور الطاهر منها :

متى كان الصراع قائما بين الرجل العراقي والمرأة العراقيـة عـبر التـاريخ ولحد الآن ؟ ان اسرتنا ابونـة بنسبها وسلطتها وحتى في الوقت الحاضر التي . تحررت المرأة في العديد من القيود الاجتماعية وحصلت على العديد والمكاسب المعنوية والقانونية لم تتصارع مع الرجل بل ساعدته في اتجاه .. العديد من النشاطات الاسرية وسواها . مشال آخر : متى حصل في النوع الشخصية العراقية بين اللون الابيض والشعوب الملونة ؟ لـم يحصـل هـذا مـن الصـراعات فـي تـاريخ المجتمـع العراقـي ، ومتـى أصـبح الصـراع بـين العناصـر والديانات في المجتمع العراقي ظاهرة ؟ ان هذا التصوير بعيد كل البعد عن واقع الشخصية العراقية وأنـه مجرد كلام غير واقعي ومنطقي . ولا يمكن الركون عليه في الدراسات الاجتماعية الموضوعية **لقد ذكر الدكتور الطاهر بعض الاعراض العامة التي نجمت عن الفتن والنزاع الداخلي في الشخصية العراقية** منها ما يأتي :

١ -الثورات والانقلابات والحروب الداخلية والمنازعات القبلية .
٢ -التظاهرات والاعتصامات والمسيرات .
٣ -اعلان الاحكام العرفية وحل البرلمانات وتعطيل الصحف .
٤ -الاعتقالات والنفي والطرد والفصل والعزل .
٥ -اغلاق المدارس والمعاهد والجامعات .
٦ -سقوط الوزارات وعزل الولاة واسقاط الجنسية .
٧ -التخلف .

الغريب في هذا الاستخلاص أنه ينفي أسباب الوعي السياسي والاحزاب السياسية العراقيـة وايمان العراقيين بتربة الوطن وتفاعلهم مع الاحداث السياسية وصراعهم ضد الظلم والطغيان وما لديهم من مستويات ثقافية تؤهلهم للتعبير عن مـواطنتهم وحريتهم . لم يكن ذلك السبب الحقيقي – في نظر الظاهر هو القوقعة والقلق في الشخصية العراقية . ان هذا الاستخلاص لا يمكن الاخذ به لأنه خال من الحقائق التاريخية وأسانيد الاحداث الواقعية ان هذا النهج الثنائي- الازدواجي الذي استند اليه الاستاذ الطاهر في تحليل بعض سمات الشخصية العراقية استخدمه كتقيـة في دراسة الوردي للشخصية العراقية حيث قال جعل الوردي مفهوم الازدواجية (بين البداوة والحضارة) مثالا وميتافيزيقيا قادرا على تفسير كل ما في

المجتمع من ظواهر وقوى فرفع صفة الازدواجية الى مستوى القانون واسبغ عليها القدرة لإنتاج الشخصية والمجتمع والحضارة فجعل الازدواجية الخالقة لمعجزات ثم اعتبرها قدرا محتوما على العراقيين ولا يمكن الافلات من هذا المقدس بهدها جعل الازدواجية ظاهرة شاملة وعامة تصلح الدراسة الشخصية العراقية في كل زمان وكل مكان . بينما هي ظاهرة مؤقتة وجزئية وقد تصلح منهجا لدراسة ظاهرة معينة مرحلة تاريخية معينة مثل العصور الوسطى « نجد الازدواجية اليوم منهجا جامدا وعقيما غير صالح لاستيعاب أعماق الواقع الاجتماعي ومعرفة ما تتفاعل في مستوياته المختلفة من قوى وتيارات وما تفجر في بنائه عن ثورات وانتفاضات وتناقضات وصراعات الى درجة تعقد خصائصها وسماتها ويجند التفكير ويعطل التخليل ولا يستثير اهتمام المواطن لقد جعل الزميل الوردي من الازدواجية وصفة طبية جاهزة مثلمان كمثل ـ الاسبرو - الذي يعطي للمصاب (بمرض السرطان) انه يهدئ لفترة قصيرة فقط وتعود الالام المبرحة المؤلمة بل جعل الازدواجية غطاء ممزقا ومهلهلا لا يستطيع أن يحجب الواقع الاجتماعي المليء بالتناقضات والصراعات » . لقد أوضح الدكتور الطاهر بعض الخصائص التي تتميز بها الشخصية العراقية وهي :

١ -انها شخصية حية لأنها حصيلة صراع مستمر لكل تلك القواقع المتعارضة المتناقضة التي لم تستطع توحيدها وصهرها وتأليف كل منسجم منها فتعايشت في وجدانها قيم مختلفة ، تتهادن حينا وتنازع أحيانا كثيرة ، فهي ليست مصابة بانشطار الوجدان كما يتصور البعض وانما تقوم بأدوار متعددة ومتناقضة :

٢ -تمجيد الذات وتعظيمها بالرجوع الى التاريخ فالحاضر الذي يعيشه مصدر آلامه وشقائه والماضي ينبوع لأمجاده ومفاخره وقعت الشخصية . العراقية بين هاتين العقدتين ، تمجد ذاتها وتتهمها بالخيبة والفشل تجد في أمجاد الماضي عزاء وتسلية ، بل تنكمش الى الماضي هربا من حاضر مؤلم لا تشكل هذه الخاصية عقدة تكمن في شخصية العراقي بل هي ثقافي . ارثي يتماثل معه كاطار قومي قوي عندما يواجه تيارا يهدده وفي الوقت ذاته لا يمكن ان نسمي هذا انكماشا بل تماثلا تاريخيا يتواصل بين الحاضر والماضي ويتماثل بين الذات الفردية والضمير الاجتماعي للامة وهذه هي الاصالة

٣ -يعتز العراقي بكرامته وبشخصيته ويبالغ ابعادها وترجع هذه الصفات أحيانا بتوسيع الى اصول تاريخية كالأسرة والعشيرة والمحلة والقرية والمدينة .

تعكس هذه الخاصية أحد أوجه الاعتبار والهيئة الاجتماعية للفرد حيث يقاس (العراقي) من خلال احتفاظه بكرامته ودرجة اعتزازه بها .

٤ -الاندفاعات المفاجئة : تندفع الشخصية العراق اندفاعا مفاجئا وتنفجر انفجارا غير متوقع حتى قيل ان العراقيين في سلوكيتهم مثل (نار الخطفة) تهب مرة واحدة وتنطفئ مرة واحدة (الحلفة نبات بري سريع الاشتعال الهفوت).

هل يصح للانسان الذي يعتز بكرامته وعزها وبمجد ذاته ويتماثل مع تاريخ امته وارثها كاطار مرجعي ان يشبه بالحلفة (النبات البري الذي يحترق بسرعة ويهفت بسرعة) لان الاندفاع المفاجئ لا يمكن ان ينصل من دون أن يكون هناك اثارة عنيفة لدخيلة او مكونات الشخصية القومية للفرد العراقي . ان هذه الخاصية عديمة الاسناد المنطقي والحدث الواقعي .

٥ -عقد البطل الشعبي : يكمن في أعماق الشخصية العراقية حب حقيقي وتقدير منقطع النظير للبطل الشعبي الذي تؤلف سيرته نواة صلبة في فضائل التراث الاجتماعي . ترمز حياته الى طموح الجماهير المضطهدة خواها نسجت الاساطير الشعبية صفحات رائعة وتضمن الشخصية العراقية كراهية الظالم والدجال وعلى الرغم من مرور القرون العديدة لإنزال الذاكرة الجماعية تبجد الابطال الشعبيين النماذج الاجتماعية في والفضيلة .

٦ -الاستمرار في محاولة الحفاظ على الحدود النفسية والاجتماعية التي تفصل القواقع بعضها عن بعض باللجوء الى مصطلحات تشرية وسطحية المجالات التي تحول دون نشوب نزاع مباشر بين شخص وآخر ينتميان الى قوقعتين متنازعتين والتي ترمز إلى

الصداقة في المظهر ، ولكنها تحافظ على المسافات والإبعاد النفسية وتتجنب طرح الموضوعات الملتهبة ومناقشتها .

٧ -العنف : تتميز السلوكية القوقعية القلقة بالعنف في معالمة الخصوم ولعل السبب في ذلك تراكم المظالم وتجمع الحرمان والانتظار مدة طويلة وخوفا من فوات الفرصة وشل حركة الخصوم ترجع جذور هذه الظاهرة الى الماضي السحيق : السومرين والأكديين والأشوريين والبابليين والامويين والعباسيين . ويؤمن الطاهر بان التخلص والتحرر من الولاء القوقعي والواقع الاجتماعي القلق المشم يكون بتطبيق النظرية الاجتماعية الاشتراكية التي تسمو على كل التحيزات القبلية والمحلية والاقليمية والطائفية والعنصرية وغيرها ..

اخيرا وصف الطاهر المجتمع العراقي بالعبارات الاتية « حدثت الربع الثالث من هذا القرن تحولات جذرية غيرت وجه المجتمع العراقي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وايديولوجيا بكلمة واحدة - حضاريا – فانتقل العراق من كونه تابعا مربوطا بعجلة الاحلاف العسكرية الاستعمارية الى التحرر الوطني ومن النظام الملكي - الإقطاعي الى الجمهوري والإصلاح الزراعي والثورة . الاشتراكية في الريف ، ومن الدعوة الى التعصب للولاءات الضيقة القوقعية المتحجرة إلى الدعوة إلى الانفتاح ووجهة النظر الشاملة ومن التخلف الى التقدمية والانطلاق في مسار المجتمعات المتطورة وبالرغم من كل ما قطعه المجتمع من اشواط في مضمار التقدم الا أن المعضلة التي ينتظر الحل العاجل وتتطلب تضافر الجهود - هي باختصار - استمرار الولاءات القوقعية المتكلسة المتحجرة التي بقيت عالقة في وجدانيات الافراد في أعماق الشخصية العراقية وتسيطر على سلوكيتها ونشاطها وتطلعاتها وتمارس انواع الضغوط الشعورية واللاشعورية عليها . كان لهذا الواقع الموضوعي الاثر الكبير في تأرجح الخط العام لمسيرة المجتمع العراقي وصعوبة اختيار الدرب الذي يقوده الى الاشتراكية .

الغريب في النص الاخير الذي طرحه الدكتور الطاهر بانه يعتقد بان الشخصية العراقية بقيت مستمرة في تعصبها للولاءات الضيقة القوقعية المتجبرة فتكلست ووصلت الى درجة المعضلة وهذا يعني ان هذه الخاصية واجدة عند المجتمع البدوي والريفي والديني دون تأثرها بالتطوراتالتاريخية والحضارية وهذا لا يمكن تصديقه لان تطور المجتمع يتأثر بتطور الفرد ، وتطور الفرد يتأثر بتطور المجتمع ، فكيف يتطور المجتمع العراقي بأنواعه الثلاثة وتبقى السمات القومية للشخصية العراقية ثابتة لا تغير ولا تتفاعل مع تطورات مجتمعها.

وزبدة القول ، أن محاولة الدكتور الطاهر في دراسته المجتمع العراقي مثرية من الجانب

البحثي لأنها جمعت معلومات من انماط الحياة الاجتماعية السائدة في المناطق الصحراوية والريفية والمدينية وشملت ايضا آراء ونماذج عن الشخصية العراقية في النصف الاول من هذا القرن وكانت في وقتها تمثل بدايات سوسيولوجية محلية (عراقية) اي دراسة بعض أوجه الحياة الاجتماعية العراقية من قبل باحثين عراقيين اجتماعيين اتسمت بالوصف والنقد هذا ولابد لي بعد هذا الاستطراد عن المجتمع التراقي وشخصية فرده آن اثبت اسهامات الاستاذ الطاهر في نقل المعرفة السيسيولوجيا العالمية الى المواطن العراقي المختص والمهتم بالفكر والبحوث الاجتماعي الغربية وهي كما يأتي :

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة الحادية عشرة : التفسخ الخلقي في المدن

يرى بعض الباحثين أن الحياة في المدن تشجع على التفسخ الخلقي . وكان ابن خلدون يذهب إلى مثل هذا الرأي . فهو عندما قارن بين أخلاق البدو وأخلاق الحضر وجد فرقا كبيرا بينهما . فالبدو في نظره أفضل أخلاقاً من الحضر ، إذ هم بعيدون عما في الحضر من ترف وتكالب على المادة وانهماك في الشهوات . وفيما يلي بعض ما قاله ابن خلدون في هذا الصدد :

« ... وأما فساد أهلها في ذاتهم واحداً واحداً على الخصوص فمن الكد والتعب في حاجة العوائد والتلون بألوان الشر في تحصيلها ، وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصر لون آخر من ألوانها . فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش وجهه ومن غير وجهه ، وتنصرف النفس إلى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة فتجدهم أجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلابة والسرقة والفجور في الأيمان والرب البياعات . ثم تجدهم أبصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه واطراح الحشمة في الخوض فيه ... » .

« وإذا كثر ذلك في المدينة أو لأمة تأذن الله بخرابها وانقراضها ، وهو معنى قوله تعالى : -(وان أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً . ووجهه مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها ، فلا تستقيم أحوالهم فسدت أحوال الأشخاص واحداً واحداً اختل نظام المدينة وخربت ... » .

« ومن مفاسد الحضارة الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف ، فيقع التفنن شهوات البطن من المآكل والملاذ ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط فيفضي ذلك إلى فساد النوع ... فافهم ذلك واعتبر به إن غاية العمران هي الحضارة

والترف وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات »[1] . مما يجدر ذكره أن هذا الرأي الذي جاء به ابن خلدون ، حول فساد الأخلاق في المدن ، قد لا جميع المدن ولا سيما الحديثة منها . فالأخلاق من الأمور الاعتبارية أو النسبية ، وهي تخضع لما اعتاد الناس عليه في مجتمع ما من معايير ثقافية . فما نعتبره في مجتمعنا خلقاً سيئاً قد يعتبره غيرنا من الأخلاق الفاضلة . تطبيقه على فالملاحظ في المدن الحديثة من البلاد « الراقية » أن الوضع الخلقي فيها لم يصل في تفسخه إلى الدرجة التي وصفها ابن خلدون . لا ننكر أن المدن الحديثة تحتوي على مناطق معينة يكثر فيها التفسخ الخلقي ، وهي المناطق التي تعرف بالـ « Slums » ، أما المناطق الأخرى منها فهي في الغالب غير متفسخة خلقيا ، ونعني بذلك أنها منسجمة في وضعها الخلقي مع المعايير الثقافية السائدة في المجتمع هناك[2] . يبدو أن ابن خلدون استمد رأيه في فساد أخلاق الحضر من مشاهداته الشخصية في المدن التي خالطها وعاش فيها . وعندما قارن أخلاق تلك المدن بالتعاليم المثلى التي جاء بها الإسلام اعتبرها منحطة . وهو محق في ذلك من الناحية الاعتبارية كما لا يخفى . وحين ندرس أخلاق المدن العراقية في العهد العثماني نجد رأي ابن خلدون منطبقاً عليها إلى درجة كبيرة . فأهل المدن العراقية كانوا يستمدون معاييرهم الخلقية من التعاليم الدينية السامية ، بينما كانوا في حياتهم الواقعية يسيرون على ما يناقض تلك التعاليم . الواقع أن البدو يناقضون تعاليم الإسلام في كثير من عاداتهم ، ولكنهم لا يدركون ذلك ولا يشعرون به . أما أهل المدن فهم ، لكثرة ما يشيع بينهم من المواعظ الدينية والمجادلات المنطقية ، يدركون الفرق بين عاداتهم وتعاليم دينهم . وهناك ناحية أخرى يختلف فيها أهل المدن عن البدو في هذا الشأن ، وهي أن أهل المدن قد اقتبسوا من البداوة كثيراً من العادات ، كما رأينا في فصل سابق ، ولكنهم لم يحافظوا على نقاوة تلك العادات كما جاءت من البادية ، بل هم قد شوهوها ومسخرها حتى صارت أكثر بعداً عن التعاليم الدينية مما كانت عليه في أصولها الأولى . وهذا هو الذي جعل ازدواج الشخصية واضح الأثر في أهل المدن ، فهم بمقدار ما كانوا منحطين في سلوكهم الواقعي كانوا يحلقون في تفكيرهم المثالي تحليقاً عالياً .

كان المجتمع العراقي قبل ذلك قانعاً بما عنده ، واثقاً بصحته ، وهو يكاد لا يعرف غيره . ولكنه وجيء على حين غرة بأمور مخالفة لما إعتاد عليه ، فأصيب من جراء ذلك بصراع نفي اجتماعي . وهو لا يزال يعاني من هذا الصراع ، وسيظل يعاني منه أمداً طويلاً .

مقاومة الحضارة :

[1] ابن خلدون (المقدمة) – تحقيق علي عبد الواحد وافي – ج٣ , ص: ٨٧٧ – ٨٨٠.

[2] Gist and Halbert (Urban Sociology) P. 163.

من طبائع المجتمع البشري بوجه عام أنه ميال إلى مقاومة كل تغير غير مألوف يطرأ عليه . وهذا أمر نلاحظه في جميع المجتمعات ، الراقية منها والمنحطة ، وهو ما يعرف في علم الاجتماع بـ « الاستمرارية الثقافية » (Cultural inertia)[٣]. إنما هو قد يكون ضعيفاً أو شديداً في أي مجتمع من المجتمعات تبعاً لاختلاف الظروف فيه . والظاهر أن مقاومة الحضارة الحديثة كانت في العراق شديدة جداً ، ولعلنا نستطيع أن نعزو ذلك إلى العوامل التالية :

أولا : كان العراق يعيش قبل مجيء الحضارة اليه في شبه عزلة اجتماعية ، كما أشرنا اليه آنفاً ومن طبيعة العزلة الاجتماعية أنها تؤدي بالناس إلى شدة التمسك بتقاليدهم القديمة وإلى الخوف من أي تغيير يطرأ عليها . فاذا جاءهم التغيير شعروا كأنه يهدد بتحطيم مقدساتهم التي اطمأنوا اليها زمنا طويلاً . ولهذا نراهم يهبون للدفاع عنها بحماس وضراوة .

ثانيا : لقد تميز مجيء الحضارة إلى العراق بالمفاجئة ، كما ذكرنا . أضف إلى ذلك كانت عند مجيئها راقية جدا وفيها من عجائب المخترعات والنظم ما يخلب الألباب ، وهذا من شأنه أن يثير في الناس رد فعل عنيف ضده . فلو أن الحضارة جاءت إلى العراق ببطء وتدريج ، على منوال ما . جاءت إلى بعض البلاد العربية الأخرى كمصر ولبنان ، لربما كان رد الفعل فيه أضعف أثراً .

ثالثا : كان مجيء الحضارة إلى العراق مصاحباً للاحتلال الانكليزي . وقد كان لهذا الأمر أثره البالغ في النفوس ، ولعله أبلغ أثراً من العاملين السابقين . وهو جدير بأن نتحدث عنه بشيء من الاسهاب . اعتقد الكثير من أهل العراق أن الحضارة الحديثة هي من صنع الانكليز وأمثالهم من « الكفار » ، وهي ..إذن ـ لابد أن تكون مخالفة لدينهم وهادمة له . لقد كانت تلك نظرة ساذجة

ان اي انقلاب مهما كان ، ولو قامت به « الملائكة » ، ليس في مقدوره أن يلبي مطاليب الناس جميعاً ، ولاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار هذا العدد الهائل من أبناء الجيل الجديد الذين انفتح أمامهم سبيل « الترقي » واشتد فيهم الطموح نحو « المعالي » . لابد أن يشعر الكثير منهم بخيبة أمل تجاه الانقلاب ، بعد مدة قصيرة أو طويلة . فهم يرون غيرهم ممن هو دونهم في الإخلاص والكفاح قد وصل إلى ما كان يطمح اليه ، فلماذا لم يصلوا هم ؟!

طبيعة الازدواج الحديث

[3] Dawson and Gettys (An Introduction to Sociology) P. 583-585.

ان هذا الوضع الذي تحدثنا عنه قد يبعث في الجيل الجديد ازدواجاً في الشخصية يشبه من بعض الوجوه ذلك الازدواج الذي رأيناه في آبائهم في عهد مضى .

ان أبناء الجيل الجديد لم يعودوا يتأثرون بالمواعظ الدينية كما كان يفعل آباؤهم من قبل ، بل هم أخذوا يتأثرون بمواعظ من نوع مستحدث هي تلك التي تمطر هم به المدارس ووسائل النشر والدعاية الحديثة كالصحف والاذاعات والاحزاب وما أشبه .

يجب أن لا ننسى أن الكثيرين منهم نشأوا في طفولتهم في بيئات محلية قديمة ، ولعبوا في الازقة ، حيث اعتادوا فيها على قيم التغالب والعصبية والكسار والشقاوة . فاذا كبروا صاروا يتعلمون الأفكار والمصطلحات الحديثة . ومعنى هذا أنهم وقعوا تحت تأثير ثقافتين متناقضتين ، ولابد أن يظهر فيهم نمط من ازدواج الشخصية ضعيف أو شديد .

إن أحدهم قد يتمشدق بأرقى ما جاءت به الحضارة من مبادىء ومفاهيم ، ولكن ذلك ليس سوى طلاء سطحي حيث تكمن تحته الشخصية الزقاقية ، فلا تكاد تمس بعض الأوتار الحساسة منها حتى ينتفض صاحبها « سبعاً » ضارياً كأنه من « اشقياء » ذلك الزمان .

مهما يكن الحال فليس جميع أبناء الجيل الجديد على درجة واحدة في هذا الازدواج . فالبعض منهم قد انصهروا في الثقافة الحديثة انصهاراً جعل ظاهرهم وباطنهم متقاربين . ويبدو أن هؤلاء كانوا في طفولتهم غير منسجمين مع الحياة الزقاقية ، أو شعروا بالنفرة منها لسبب من الأسباب ، فاعتزلوا عنها وأخذوا ينهمكون في دروسهم أو هواياتهم الانطوائية . ولهذا كانوا في كبرهم أقدر من غيرهم على التكيف للثقافة الحديثة .

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة الثانية عشرة : طبيعة المرحلة الراهنة

كان معظم بحثنا في الفصول السابقة يدور حول الوضع الاجتماعي الذي كان سائداً في العراق في العهد العثماني . ونريد الآن ، في هذا الفصل الأخير ، أن ندرس بعض ملامح المرحلة الراهنة التي حلت بالعراق بعد زوال العهد العثماني عنه

الواقع ان المرحلة الراهنة لا يكفي لدراستها فصل واحد ، فهي مرحلة اجتماعية ذات أهمية بالغة ولعلها أهم مرحلة مر بها العراق في مختلف أطوار تاريخه الطويل . وسنحاول دراستها على شيء من التفصيل في كتاب قادم . أما غرضنا في هذا الفصل فهو استعراض بعض الخطوط الرئيسة التي تميزت بها المرحلة الراهنة ، وذلك لكي تتكامل في ذهن القارئ صورة عامة عن المجتمع العراقي من خلال تطوره من الماضي إلى الحاضر .

اثر الحرب العالمية الأولى :

قد يصح القول بأن الحرب العالمية الأولى كانت أعظم حدث اجتماعي في تاريخ العراق ي كانت بمثابة نقطة تحول هائل حيث انفتحت بها أمام أعين العراقيين آفاق جديدة الحديث ، فهي لم يكن لهم بها عهد من قبل .

كان العراق في العهد العثماني يعيش في شبه عزلة اجتماعية . فكان الناس فيه ، إلا القليل منهم ، لا يعرفون عن الحضارة الحديثة وأحداث العالم الخارجي غير النزر اليسير . ثم جاءت اليهم الحضارة إثر الحرب الأولى ، فكان مجيئها بغتة وبزخم شديد مما أحدث في المجتمع العراقي تغيراً عنيفاً واسع النطاق .

يمكن تشبيه المجتمع العراقي من هذه الناحية بالنائم الذي يوقظ فجأة فيشهد أحداثاً عجيبة لا عهد له بها من قبل فتهز كيانه هزا وتبعث فيه الدهشة والارتباك .

أما الذين كانوا في طفولتهم من أبطال المحلة وقادة المعارك فمن الصعب عليهم أن يتخلصوا في كبرهم من تأثير القيم الزقاقية . فهم سيظلون « أشقياء » كما كانوا ، غير أنهم يسترون شقاوتهم بطلاء براق من المصطلحات الحديثة ، وهم قد يستخدمون تلك المصطلحات أسلحة ضد خصومهم كمثل ما كانوا في طفولتهم يستخدمون الهراوات والأحجار .

ان هؤلاء المزدوجين يمثلون إحدى مشاكل المجتمع العراقي الحديث . فهم قد ينالون الشهادات العالية أو يتسنمون مراكز النفوذ والزعامة ، فاذا كتبوا أو خطبوا جاء جاءوا بالمبادئ « الرنانة » يمطرونها على رؤوس الناس ، وهم قد يغضبون حين يرون أحداً يخ ا يخالفهم فيها ، إنما هم في سلوكهم الواقعي لا يختلفون عن غيرهم من الناس ، ولعلهم أكثر منهم انحرافاً عن المبادئ التي ينادون بها .

ان المبادئ الحديثة جاءت إلى العراق « طارئة » ، إذ هي لم تنبعث من طبيعة ثقافته الاجتماعية الأصيلة . فهي قد اتخذت شكل محفوظات وأناشيد وهتافات وشعارات وما أشبه . والفرد يتعلمها في المدارس ، أو يقرأها في الصحف والكتب ، أو يسمعها في الاذاعات : أو تلقى عليه في المظاهرات والحفلات . وهي ـ إذن ـ تبقى فعالة في مجال الكلام والجدل والانتقاد فقط ، ومن الصعب أن تتغلغل بتأثيرها في أعماق النفوس . فالفرد قد يجادلك على أساسها إنما هو لا يستطيع أن يغير سلوكه بها إلا في نطاق محدود جداً .

لا ننكر أنها ستؤثر في سلوك الأفراد بمرور الأيام ، وسيزداد تأثيرها جيلاً بعد جيل ، وبهذا يضعف أثر الازدواج فيهم ، ولكن ذلك أمر لا يحدث دفعة واحدة ، بل هو يجري تدريجياً وببطء شديد . وربما استغرق أجيالاً عديدة ، ونحن إذ تدرس طبيعة المرحلة الراهنة لابد أن نعترف بما يجري فيها من ازدواج في تكوين الشخصية ، حيث إعتاد الناس فيها أن يقولوا ما لا يفعلون .

مشكلة الوساطة :

يعاني المجتمع العراقي في مرحلته الراهنة مشاكل كثيرة لا يسعنا هنا تعدادها أو التحدث عنها بإسهاب ، ولعل من المناسب في هذا الصدد أن نأتي على ذكر إحدى تلك المشاكل وهي مشكلة الوساطة . وهذه المشكلة يصح أن تكون نموذجاً للازدواج الذي ابتلى به الجيل الجديد من جراء التناقض بين الثقافة القديمة والحديثة في تكوين شخصيته .

الفجوة بين الشعب والحكومة :

إن الفجوة بين الشعب والحكومة ظاهرة اجتماعية كانت موجودة في معظم الأمم القديمة ، هي تنشأ من جراء بغض الشعوب لحكامها . فالحكام يفرضون الضرائب على رعاياهم يضربونهم بالسياط ويأمرون بقتلهم لأقل هفوة تبدر منهم ، وهذا لا بد أن يؤدي بالرعايا إلى غضهم قليلاً أو كثيراً .

ولكن هذه الفجوة بين الحكام والرعايا كانت ذات طابع « سلبي » ، وأعني بذلك أنها لا تؤدي إلى تكوين « رأي عام » يراقب الحكام ويردعهم عن الاستبداد والظلم ، فالحكام سادرون في استبدادهم والرعايا سادرون في خنوعهم .

لم يكن الرعايا يعدون حكامهم خداما لهم كما هو الحال في الشعوب الحديثة ، بل كانوا يعدونهم أسياداً . وهم ـ إذن ـ لا يفترضون في حكامهم أن يقوموا لهم بأي عمل نافع ، وإذا قام أحد الحكام أحياناً بمثل هذا العمل اعتبروه تفضلاً منه وعملاً « خيرياً » فأخذوا يلهجون بذكره ، ونظم الشعراء القصائد « العصماء » في مديحه .

ان هذا هو ما كان الناس عليه في العراق في العهد العثماني ، ولكنهم سرعان ما تغيروا بعدئذ وذلك حيثما اشتد فيهم الوعي السياسي ولمى الرأي العام . وبذا تحولت الفجوة بين الشعب والحكومة من طابعها « السلبي » القديم إلى طابع « ايجابي » حديث .

لا يخفى أن الحكومة العراقية مصابة بعيوب وأدواء شتى . فهي قد انبثقت من المجتمع الذي تعيش فيه واستمدت طبيعتها منه ، فاذا كان المجتمع مصاباً بالعيوب والادواء فهي لابد أن تكون مثله مصابة بها[1] . ولكن الرأي العام لا يفهم هذا عادة ، فهو يفترض في الحكومة أن تنجز من الأعمال مثل ما انجزته الحكومات « الراقية » التي يسمع عنها . وهذا يؤدي إلى نفع كبير ، بلا ريب ، إذ هو يجعل الحكومة تتحرك فتحاول القيام بالتعمير والاصلاح بمقدار جهدها ، ولولا ذلك لظلت الحكومة على دأبها سائرة على ديدنها القديم لا تعرف من دنياها غير تعمير المساجد وتخريب البلاد .

[1] سيجد القارئ دراسة مسهبة لعيوب الحكومة العراقية , وشتى الادواء التي تنخر فيها , في كتاب قادم – ان شاء الله

نحن لا ننكر أن الحكومة العراقية هي أفضل جداً من الحكومة العثمانية ، فهي قد انجزت في نصف قرن ما عجزت الحكومة العثمانية أن تنجز جزءاً صغيراً منه في أربعة قرون . ولكن مشكلتها آنها تجابه وعياً سياسياً شديداً لم يكن موجوداً من قبل . فالرأي العام يريد منها الشيء الكثير ، بينما هي مقيدة بالواقع الاجتماعي التي تعيش فيه وليس في امكانها أن تتحرر منه دفعة واحدة وتقفز إلى الامام على نمط ما يبتغي الرأي العام منها .

كان الناس في العهد العثماني ينسبون كل بلاء يصيبهم إلى الله ويعتقدون أنهم مستحقون له من جراء ذنوبهم ، وهذا جعلهم يعظ بعضهم بعضاً لكي يتركوا اقتراف الذنوب ويستغفروا ربهم . أما الآن فقد نسي الناس ربهم وصاروا ينسبون كل بلاء إلى الحكومة ، وهذا يدعوهم إلى انتقاد الحكومة وإلى الهتاف بسقوطها .

وصل الحال ببعض العراقيين من الناحية إلى درجة أنهم يعدون الحكومة مسؤولة عن كل أذى يصيبهم مهما كان تافها . فاذا ثار في وجوههم غبار مثلاً أخذوا يشتمون الحكومة لأنها لم تزرع الأشجار في البراري ، وإذا ازدحمت السيارات في شارع قالوا : تعساً لهذه الحكومة التي لا تنظم السير تنظيماً مضبوطاً . أما إذا نزل بهم ضرر كبير فان الشتائم تنهال على الحكومة من كل حدب وصوب .

" قد يجوز القول بأن هذه « الفجوة الايجابية » بين الشعب والحكومة هي في ازدياد يوماً بعد يوم . فالحكومة حين تقوم بإنجازاتها النافعة إنما تقصد بها أن يرضى عنها الرأي العام ، ولكنها لا تدري أنها قد تزيد بذلك من نقمته عليها . فهي إذا فتحت مدرسة مثلاً فمعنى ذلك أنها تزيد من عدد الأفراد الطامحين المتذمرين ، وإذا أسست . وازدحموا وهم عندئذ سيأخذون بالتأفف منه وينتقدون الحكومة على تقصيرها فيه . اما إذا وقع انقلاب فانهم يتوقعون منه ان يأتي بالمعجزات في اصلاح الوضع العام ، وهم سوف يشعرون بالتذمر حين لا يحصلون منه على ما كانوا يأملون !

كلما سارت الحكومة في انجازاتها خطوة واحدة إلى الامام سار الرأي العام قبلها خطرات . فهي مسابقة بين من هو بطيء في سيره ومن هو سريع ، فلا البطيء قادر أن يسرع ولا السريع قادر أن يبطئ ، فمتى يلتقيان ؟!

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة الثالثة عشرة : المجتمع المدني

المقدمة

يحظى الحديث عن المجتمع المدني في العراق بأهمية خاصه بعد أن شهد العراق خلال العقود الثلاث الأخيرة أحداثا مهمة تركت آثارا بنيوية كبيرة على التنمية البشرية فالمتغيرات السياسية والاقتصادية والاح في العراق ، نواء من جراء المعتدة والشائكة التي أتسم بها الوضع المجتمعي في العراق سواء من جراء عقوبات الاقتصادية التي سادت قبل الاحتلال عام ٢٠٠٣ ، او الاختلالات البنيوية التي يعاني منها المجتمع العراقي بعد سلسلة حروب ، أدت مجتمعة إلى تراجع مكونات التنمية البشرية ، وربما ساعدت هذه الاختلالات والمشكلات في تزايد العنف والفساد وانعدام الثقافية ، وأصبحت الظواهر الأخيرة ذات تأثيرات متبادلة لا شك إن تجاهلها أو

عدم معالجتها يعد أمرأ محفوفا بالمخاطر ، وتصبح الاستراتيجيات الإنسانية وبرامج الإصلاح والتمكين عديمة الفاعلية لقد تميز تأريخ العراق في العقدين الأخيرين ، من منظور التنمية البشرية ، بالتراجع الهائل الذي تعرضت له مؤشرات التنمية البشرية في جميع الميادين ، وضياع نتاج سنوات من العمل بسبب الحروب والعقوبات الاقتصادية ، وانتهى الوضع به إلى الاحتلال ، والى عملية تغيير جذري للنظام السياسي والاقتصادي في ٩/٤/٢٠٠٣ ، وشكل ذلك انعطافه في مجرى تاريخ العراق ، بسبب ما حملته من تغيرات واسعة ، لم تتوفر الأرضية المناسبة لاستيعابها . ولعل أخطر ما يواجهه المجتمع العراقي من تحديات على الصعيد الاستراتيجي في الوقت الحالي ، هي محاولات التجزئة الجغرافية (التشظي والتقسيم إلى أقليم) ، وتفتيت النسيج الاجتماعي العراقي الشرق والثقافي والحضاري إن عمل مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني . في العراق اليوم محفوف بالمخاطر ، ويتم في فضاء يتسم بالتعقيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي وتعلم هي الأخرى ، في المقابل ، على تكييف الفضاء ليتجاوب مع مسؤولياتها المجتمعية ويخدم أهدافها وفي قبل عدم الاستقرار المترتب على مثل هذه الحالة والتي تواجه) المجتمع العراقي ، تبرز

قضايا مهمة : آلية التعامل مع عملية تحديث المجتمع ، ودور مؤسسات المجتمع المدني في هذا السياق ، ومشكلاتها مع المناخ العام ، فضلا عما تواجهه هذه المنظمات من مشكلات على الصعيد البنيوي والسلوكي

ثانيا : الإشكاليات البنيوية

هناك إشكاليات عديدة تواجه المجتمع المدني في العراق اليوم يمكن تحديد أبرزها :

١: أدت التغييرات الاجتماعية في النصف الثاني من القرن العشرين إلى تشكيل حالة التريف في المدن العراقية وخصوصا الكبيرة منها ، وهنا تبرز إشكالية جديدة حقيقية تواجه في كثير من الأحيان مؤسسات المجتمع المدني وهي حالة الخال في أليات الانتقال من مجتمع القبيلة إلى الدولة الأمر الذي انعكس بشكل واضح على العقل والذات العراقية وبالتالي على الشخصية العراقية ، فأصبحت لا تعي في كثير من الأحيان المواطنة الحقة لأن الفرد ظل يترجح في الانتماء بين المجتمع التقليدي (القبلي) ومجتمع حضري فرضه منطق العصر ، وها أفرز سلوكاً ابرز سمانه النفعية والانتهازية وعدم الشعور بالمسؤولية ، والشخصنة على حساب المأسسة

٢: نجم عن هذه المتغيرات أتساع واضح في ظاهرة التفكك والتفسخ الاجتماعي الناجمة عن تفاقم عناصر الانفصام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بسبب التوزيع غير العادل لشار النمو والذي نتج عنه أشكال عديدة من التفاوتات .

أ - تفاوت واضح داخل المناطق الحضرية دوائر (ولكن ليست مغلقة) عليا وسفلى في أحياء راقية وشعبية ، خلقت منها عوالم خاصة متميزة عن بعضها لا يجمعها نسيج مشترك تتبلور عنه رؤي مشتركة أو أفعال اجتماعية مدنية موحدة .

ب - تفاوت بين الريف والحضر في مستويات الدخل والخدمات بأشكالها المختلفة . وهنا يلاحظ أن الإشكالية الحقيقية التي تواجه الجهد التنموي هو قاع المدينة بعد ان كان الريف متخلف عنها .

ج - تباين شديد بين المجتمعات المحلية على صعيد المحافظات والمناطق وقد برزت تلك التفاوتات جليا في مؤشرات التنمية الاقتصادية والبشرية حيث تتباعد عن بعضها في مدى يتراوح بين أدنى وأقصى المستويات

٣: لقد شهد المجتمع العراقي طوال أكثر من أربعة عقود ترسيخاً نسبيا لمنطق العنف المبرر لمصلحة الدولة ، رسم من خلاله إطار تشكل في بناء الشخصية والأدوار المجتمعية التي تؤديها الأمر الذي انعكس

وبشكل واضح في مظاهر التعامل والمخاطبة مع الدولة وباللغة التي ترضيها وتشبع نزوعها للسطوة وتبرر لها ركونها للعنف واستخدام القوة

٤: أن التغيرات التي شهدها المجتمع العراقي خلال العقود الأخيرة ، لم تتمكن من بلورة وعي اجتماعي صحيح يقوم على حسن المواطنة والانتماء بل أدى إلى ارتباك انتمائي وهذا أدى إلى ارتبك اجتماعي ومن ثم ارتباك مجتمعي ، وهذه القضية هي محور المشكلة (مشكلة الانتماء ومشكلة المواطنة) والتي هي مشكلة المجتمع المحلي (The community) في محاولته الاقامة المجتمع المدني .

المجتمع المحلى (community) يتسم بسمات تقليدية تحكمه انتماءات عديدة ، دينية ، عشائرية ، عائلة ، طائفية . في الوقت الذي يقوم المجتمع المدني على القانون وحقوق المواطنة والمساواة وما يبعد الفرد عن الانتماء القبلي والانتماء الديني ويجعله مواطنا واعياً لحقوقه و واجباته

هنا تبرز الإشكالية وهي حالة التناقض والتضارب بين نمطين من المجتمع نمط المجتمع المحلي الراسخ في التقاليد والعادات " لما نمارسه في حياتنا العملية دون ان نعيه او نفكر به ونمط المجتمع المدني القادر على أحداث التغيير والسير نحو الحداثة وفرض مجتمع القانون والنظام من خلال "فتح الأبصار" والافئدة لفئات المجتمع على الوقائع والتحولات المحيطة به

ان السمة الحديثة لمنظمات المجتمع المدني العراقي ، كما هو شأن العديد من المنظمات المدنية في المنطقة العربية لا ينفي عنها أو عن معظمها بالضرورة رغم حداثية بنائها المؤسسي ، ان تعمل من خلال الأطر او القيم التقليدية فالتنظيمات القائمة ما هي الا تعبير لبعض القوى و التجمعات القبلية او الدينية او العرقية او المذهبية المختلفة . وقد ظلت اعداد كبيرة من المنظمات

والجمعيات في المحيط العربي والتي قدر لها بد نصف قرن من الحداثة ان تقود الدولة الجديدة نها إلا من خلال اطر التضامنيات التقليدية

وهذه قضية حقيقة لم تستطيع الدولة لحد الآن القيام بدور واضح وملموس في معالجة تجليات المشكلة ولعل السبب الرئيس يكمن في الواقع التاريخي والاجتماعي الذي أدى إلى قيام مجتمع هجين لا هو بالمجتمع التقليدي ولا هو بالمجتمع العصري الحديث ، مجتمع يقوم على مبدأ المواطنة والانتماء (كما يحدده الدستور) بل على العكس برزت حالات عديدة تقوم على الطائفية والأثنية التي حاولت الكثير من الممارسات تكريسها على صعيد الواقع الفعلي في العراق .

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة الرابعة عشرة : تكملة محاضرة المجتمع المدني

في إطار هذه التحولات أصبح المواطن غير موجود أحيانا ، وبقي الفرد مجرد رقم في مجموعة اجتماعية عشائرية أو طائفية يستمد قيمته من موقفه فيها . الفرد للكل والكل للفرد ، كما في مجتمع القبيلة ، ولكنه بحد ذاته غائب وبدل أن يزول التناقض الاجتماعي تجسد في المؤسسات الجديدة وفي الممارسات المنبثقة عنها بتي المجتمع محليا وليديا) خاضعاً لقوانين وأحكام مجتمع مدني لا يقدر أن يثبتها فعلياً ويجعلها أساسا لعلاقاته الاجتماعية ونسلاً لممارساته العامة والخاصة . وتبرز اليوم هذه الظاهرة وبوضوح أكثر في عملية الامتحانات التي تقوم على علاقات القرابة والعلاقات الشخصية والتعرية للرعب المالي أو النفسي والسياسي المتمول وفي تفوق المصلحة الخاصة على المصلحة العامة في مسلك العر . وتصرف الجماعة وفي مضعف حمر المواطنة ، وشل نسبي للمجتمع المدني . الخروج من هذا التضارب يحدث تاريخياً بواسطة الدولة الحديثة النادرة وحدها على إلغاء التضارب بترسيخ وحدة المواطنة والانتماء الاجتماعي بتعليمها في المدارس والجامعات وبممارسة الحرية والديمقراطية وتطبيق العمالة بالقول والفعل . د : التحديات الأمنية التي تواجه المجتمع العراقي اليوم بسبب الشلل المؤسسي التام الناجم عن مصادرة التسهيلات المتاحة المواطن العراقي وخلق معوقات جديدة أضفت قدرة الفعل العراقي في التأثير على صعيد المحيط الداخلي والخارجي ، وأثارت وبدرجات متفاوتة العوامل الكامنة في البنية الاجتماعية العراقية لحساب الهويات الفرعية . وبذلك أوجدت حالة عجز بنيوي ، وتوالد متواصل للمشكلات وافتقار للإرادة الاجتماعية ، ولأدوات تمكينه من التعامل مع المشكلات . إن مصادرة قدرة السلطة على تأمين وحدة الهوية أتاح الثقافات الفرعية Sub - cultures توفير ميكانزمات ضبط لا تنسجم مع ميكانزمات الضبط الوطنية بالمعنى السياسي الواسع . .. لذا فإن الحديث عن الإمكانات المجتمعية العراقية لابد أن تمتد إلى قدرات العراق على الصعد المحلية والإقليمية والدولية ، واستنباط قدرة المجتمع العراقي على إفراز البيئة التمكينية لجعلها جزء من منظومة إدارة المجتمع الديمقراطي الذي يوفر لها العمل بحرية ويعتبر ها شريكا أساسيا في عمليات البناء لد أدت الأزمات الطويلة (الحروب والحصار وآخرها الاحتلال عام ٢٠٠٣) في العراق إلى

نتائج خطيرة ألقت في خلالها على المجتمع العراقي ، وأخطرها بث التضخم في كل مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسلوكية ، وبسبب استمرار الأزمات للفترة طويلة كانت آثارها بنيوية على المجتمع العراقي ، بمعنى أنها تماست و ترسخت في عمق الممارسة الاجتماعية اليومية حيث حارت الياتها على الاعتراف الاجتماعي وتغلغلت في الحس الجمعي للناس اينما كانوا: في الريف أو المدينة والواقع إن التضخم لعب بالنسبة للمتغيرات السوسيولوجية والنفسية دور المضاعف والمعجل بالمعنى الاقتصادي . فكلما فاقم التضخم من انخفاض القيمة الشرائية للنقد ، كلما أدى ذلك إلى تدهور أكبر للقيم الاجتماعية التي هي بمثابة الاسمنت للبنية الاجتماعية ، وهذا هو دور المضاعف بالمعنى السلبي وحيثما تتدهور القيم الاجتماعية تنطلق سلوكيات من عقالها لتشيع وتشمل كافة مناحي الحياة لأنها تحررت من كل الضوابط والقواعد الاجتماعية الضبطية .

٦ : أحدثت الأزمات في العقود الثلاثة الأخيرة تحولات في المفاهيم ، إذ حلت على سبيل المثال المادية والنفعية بدل التكافل ، والدونية أو ضعف الحياء بدلاً من الاعتزاز بالنفس ، وشاعت روح الاستهانة بالوعي الإنساني والإحساس باليأس والعجز واللامسوؤلية ، ولم يعد الحراك الاجتماعي الطبيعي (Social Mobility) مألوفاً في الهرم الاجتماعي حيث حلت عليات الإزاحة والإحلال (Replacement) محل التدرج والانتقال الطبيعي لأفراد المجتمع صعودا وتروولا ومن اللافت للنظر أن هذه التحولات الكبيرة في القيم والاتجاهات والمهارات نحو فهم النجاح في الحياة وأساليب تحقيق الطموحات لم تعد تتوقف عند حد معين يميز بين المقبول اجتماعيا وغير المقبول اجتماعيا والوصول إلى انماط الاستهلاك المتعي(في ثقافة يغلب عليها الاستهلاك المظهري) ، والتي هي خارج متناول عامة السكان ، فان الكثير من مظاهر الفساد الإداري والرشوة والاختلاس والتزوير والبركة اللاهث وراء الشروة بأقصر الطرق وبدون كبير عناء ، والتفنن في الاحتيال على قراني قد أصبحت قيما واتجاهات ومسارات مقبولة وشاعة في المجتمع . بل إن الفارق بين السلوك التنقلي (ما يقوله الأفراد عن القيم والمثل والأخلاق والسلوك الفعلي قد ازداد بشكل كبير . هذه الانحرافات ساعد الخلل في الجانب السياسي والاقتصادي على زيادة شدته مما أدى إلى تصدع نظام القيم في ظله تم تقاسي معايير الحرام وسلا التجاوز على المال العام ، واختلت في العديد من الجوانب الروح الوطنية ، وتحت مستويات الأمانة والاستقامة والتواصل والتواد التي بانت تشعر الغالبية بالتوتر وعدم الاستقرار واضطراب الأمن الاجتماعي ابنته

١ -هناك مسألة مهمة في ثقافتنا وهي مجتمع السلطة . فالسلطة تحتكر مصادر القرة في ظل المجتمع حيث ظل المجتمع المدني في العراق لعقود طويلة محتلا من قبل الدولة كما عبر عنه د.هشام

شرابي ، وتعمل مؤسساته امتداداً لأجهزة الدولة ، حيث أغفلت دور الأفراد في المشاركة وأصبح الفرد جزء من ثقافة السلطة

كلية الآداب / قسم الاجتماع

مادة : المجتمع العراقي – المرحلة الثانية

مدرسة المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

المحاضرة الخامسة عشرة : تكملة محاضرة المجتمع المدني

وهنا تمخض عن علاقة الدولة بالسلطة نمطاً من انماط العلاقة التسلطية وليس مفهوم الشراكة وبات كل فرد يحدد دوره على اساس هذه العلاقة كونه تابع للدولة . هذا المفهوم هو سبب رئيسي لضعف المشاركة وسبب لإضعاف مفهوم المواطنة الذي يشجع الافراد للمساهمة في بناء الوطن وهنا تواجه ثقافة المجتمع المدني اشكالية فهم العلاقة بين الفرد و الدولة مما يحد من الأدوار والتوجيهات المرسومة

أن تسلطية الدولة و انفرادها بالقرار و اختراقها للمجتمع وفي بعض الاحيان الاطاحة به ، أو بالأحرى بمؤسساته وجماعاته وقواه الاجتماعية وافراده ، والذي يترجم في توسع جهازها البيروقراطي و الاعتماد المطلق للفرد على الفرد على الدولة ، جعل من قدرة المجتمع المدني بمنظماته المختلفة على النمو و الاستقلال عن الدولة أمراً بالغ الصعوبة ، ان لم يكن مستحيلاً فالدولة ظلت على مدى عقود من الزمن تفكر نيابة عن المجتمع وتحفظ احيانا بعيداً عنه وقد قدمت الدولة في المرحلة الماضية نماذج لشل قدرات افراده و قواه الاجتماعية والسياسية ومنظمات الاهلية ولم تبقى الا قوة مؤسسة الدولة وفي هذه الحال فأن القوى المؤهلة لسد فراغ هذا التدمير تبقى تلك القوى التقليدية ، القبلية منها والدينية و الطائفية وغيرها

ومما يلاحظ إن الدولة العراقية بعد أن انهارت في نيسان ٢٠٠٣ ، وتعطل القانون وصارت الحياة فوضى ..شاع الخوف بين الناس وتفرقوا إلى مجاميع أو أفراد تتحكم في سلوكهم الحاجة إلى البقاء . فلجأ الناس إلى مصدر قوة فرعية أو جماعة تحميهم ، ويحصل بينهما ما يشبه العقد ، يقوم على مبدأ الحماية المتبادلة . كان هذا هو التحول السيكولوجي الأول الذي حصل للعراقيين بعيد الاحتلال عام ٢٠٠٣. فبعد إن سقطت خيمة الدولة التي كانت تؤمن لهم " الحاجة إلى البقاء ا تفرق الناس بين من لجأ إلى صير : أو مرجعية دينية ، أو تجمع مدني أو سكني ، أو تشكيلات سياسية أو كتل .....

والذي رأى مشاعر الخوف بين الناس ، وتوزعهم على مرجعيات اجتماعية لا حصر لها ، أن انهيار سلطة الدولة امتزج بمشاعر الألم والمرارة التي أدمت القلوب يتعرض بغداد إلى التهب والسلب ، وحرق مؤسسات الدولة ، ودار الوطن ينهب من قبل أهله . من هنا بدأت " ثقافة الاحتماء " وحدث تحول سيكولوجي خطير ، وهو إن الشعور بالانتماء .. صار إلى النصر أو المدة التي تحمي الفرد ، وسادت ثقافة الولاء للثقافة الفرعية بدلا من ثقافة الأداء والاتصال وتعمل الشعور بالانتماء إلى العراق بعد أن تحول إلى ولاءات لا تحصى

وهكذا ظل من الصعب الحديث من مجتمع مدني أو حتى عن مجتمع أهلي أو منظمات غير حكومية بعيدا عن مؤسسات الدولة فبالإضافة لحالة شخصيته الدولة فان الحزب أو الفرد الحاكم يجد امتداداته في المجتمع من خلال سيطرته على منظماته الأهلية ، فالدولة هنا مؤسسة متعددة الوظائف والمواهب والمستويات تمثل المنظمات الأهلية في المجتمع احد مستوياتها التي تؤدي وظائف في اغلبها سياسية لمؤسسة الدولة وبعضها رعاني أو ثقافي أو نسوي او ميني . لقد أصبحت منظمات المجتمع المدني منابر للإيديولوجيات والفكر السائد ، وتصبح القاعدة المقلوبة في أن يكتسب المجتمع السني شرعيته من الدولة عرضا من أن تكتسب في شر عينها من المجتمع وتغلب الأيديولوجيات على الجوانب المهنية أو الفكرية والجوانب المطلبية التي تمثله ذه المنظمات وظلت هذه المنظمات واجبات للدولة أكثر منها واجهات القطاع الميني ؟ وراحت هذه المنظمات تشكل لونا سياسيا واحدا هو لون النظام ، وتتعرض القوى الأخرى المعارضة ، أن وجدت داخل هذه المنظمات التهميش أو الإقصاء "

٨ . ان جوهر المحنة التي يمر بها المجتمع العراقي هو إن معدلات النقر والبطالة ، كما الفوارق بين المداخيل ، قد تفاقمت بصورة مربعة ، وتأكلت الطبقة الوسطى ، وشعرت فئات عديدة ات واستبعدت من دائرة الرعاية والاهتمام والقيت على قارعة الطريق دون سبب ، مما كسر العقد الاجتماعي بينها وبين الدولة . فنجد هذه الفئات تعبر عن سخطها وكبتها بالانضمام إلى التيارات المتطرفة ، أو التخندق بالطرف الآخر من مسيرة الدولة ، أو بابتداع صنوف متطورة من الاعتداء على أملاك الدولة وعلى عقاراتها ، وبالت علاقتها بالدولة ملتبسة تتأرجح بين مطالبتها والحماية وتجاهلها تماماً لمصلحة الروح الفردية ، أو الاعتماد على الجماعات الخيرية أو الدينية أو الحزبية

إن أبرز سمات المرحلة تتلخص في الآتي :

١ - لمشكلات اجتماعية واقتصادية لا حصر لها تجلت في انحدار رأس المال الاجتماعي وتراجع روابط الثقة التي تربط بين أفرادها ، ومنح الأولوية للمتعة والكسب الفردي

٢- ازدياد أنماط السلوك المعادية للمجتمع (كالجريمة والمخدرات والعنف بوجه عام وتفشي

٣- انتقل المجتمع من سيطرة مركزية شمولية للدولة إلى طغيان واسع لقوى أو شرائح لا حدود الفساد الإداري .

٤ - حراك اجتماعي غير متوازن (إزاحة وإحلال) ، محل المنافسة النظيفة .

٥ - ضعف كفاءة ميكانزمات الضبط الاجتماعي وتراوح في تطبيق القانون .

٦ - بدائل شعبة و مجارية ينطوي بعضها على مضمون انحرافي .

٧- ارتفاع معدلات الأمراض النفسية المنشأ بيولوجية الأعراض . المساع مساحة الفئات الهشة أو الأكثر عرضة للتهميش Vulnerable groups (معوقين ، ارامل ، كبار سن ، مشردين ، أيتام ... وغيرهم) وخصوصاً زيادة نسبة النساء المعيلات لأسرهن .

٩ - تضخم حلزوني واسع تمخض عنه أثار بنيوية وتدهور في القيم الاجتماعية .

١٠ - القطع بين جيل الأباء والأبناء وتقلص مساحة التفاعل العائلي .

١١ - غياب القهوة أو الرمز في المجتمع .

١٢ - الشخصية على حساب المأسسة.

١٣ - اضطراب هرمية السلطة في الأسرة .

١٤ - إشاعة المخالفة لمعيار المسؤولية الاجتماعية

في اطار هذه التحديات والمسارات يطرح السؤال الآتي : هل تسهم ثقافة المجتمع العراقي في تعزيز وتفعيل الأدوار المهمة للمجتمع المدني في عمليات التحول والانتقال الجديدة .

إن مجمل المؤشرات والمتغيرات المذكورة تطرح التساؤلات الآتية :

كيف نزرع مفاهيم المجتمع المدني في مجتمع لا يفهم ثقافة المجتمع المدني؟

كيف يمكننا أن نعزز ثقافة المجتمع المدني ونحن في مجتمع يشهد هذه التحولات والانتقال . بمعنى آخر من مجتمع تغيب فيه الديمقراطية والمجتمع المدني إلى مجتمع يحاول بناء الديمقراطية ؟

كيف تبني ثقافة المجتمع المدني الذي يتشكل بازه الاجتماعي من مجتمعات محلية متعددة المراكز ومتكاملة بطرق طوعية ؟

كيف نبني ثقافة المجتمع المدني في مجتمع المعلوماتية التي تجرد الإنسان والمجتمعات من كانت مألوفة وتجعل تأثر المحلي بالعالمي مباشر وسريع ؟

كيف تخلق التوازن بين حاجة الدولة الطبيعية إلى فرض التنظيم ووجود قطاع اقتصادي غير رسمي أو حتى غير قانوني داخل مجتمعنا (القطاع الحضري غير الرسمي ، والعشوائيات الشاسعة في قلب مدننا و ضواحينا)؟

أسئلة تستدعي اجوبة وتفرض مناخاً من القلق على مستقبل المجتمع و الانسان العراقي المؤمن بحق مجتمعه في البقاء والقائل بقدرته على تجاوز ما يمر به من محن وامتحانات قاسية . وقبل الوصول الى تحديد ما نريده من المجتمع المدني لابد من معرفة بعض المؤشرات الحالية عن المجتمع المدني في العراق.